7me Année No. 298

Lundi - 20 - 3 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة — «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩» — العـــدد ٢٩٨

الفهــــــرس

الأدب والفن فى القران الملكى السعيد

قلت لنفسى ...

أستطيع أن أتحدث إليك يا نفس ، وأنا آمن أن يتسمع إلى حديثنا ناقد أو حاقد فينشره ؛ فما كل ما يعلم يُذكر ، وما كل ما يذكر ينشر

كان الشعب والجيش فى أسبوع القران المصرى الإيرانى السعيد قصيدة شاعرة الأبيات بالجمال والحب ، وملحمة عامرة الأناشيد بالفخار والمجد ، تجلت فيهما عبقرية الجنس ونبالة التاريخ وأريحية النيل ، ودلتا على أن الشعب يتقدم بصيراً بالفطرة ككرام الطير ، وأن الجيش يولد جباراً بالروح كآلهة الإغريق . والفطرة والروح من عمل الله الذى أحسن كل شىء خلْقه ، وهدى كل حى طريقه

أما الأدب والفن وهما من خلق الناس فكانا — على حسب ما بلغته عيناى وأذناى — موضع النقص وموضوع النقد . ومن الظلم لمواهب هذا البلد الكريم أن يكون ماذاع منهما فى هذا الأسبوع التاريخى مقياساً لقرائحه وترجاناً لعواطفه . وأسارع إلى استثناء النثر من أنواع الأدب ؛ فقد كان أجل الزهر الذى نثر على العروسين ، وأنفس الدر الذى قدم إلى التاجين ، وأصدق الدلائل على مكانة مصر فى المدنية والعقلية والثقافة . . .

ولكن الشعر كانت كثرته الكاثرة كزقزقة الأفراخ النواهض في صبح من أصباح مارس: هي إلى الصُّئِيّ أقرب منها إلى التغريد، وعلى المحاكاة أدل منها على التجديد، وفي التشابه أدخل منها في التنوع. والله وحده يعلم الآن موقف امرئ القيس من الجاحظ في الجنة أو في النار، وأحدهما يرى فنه يذوى ويهوى وينطوى، والآخر يرى فنه ينمو ويسمو وينتشر!

ومهما يكن من قصور الشعر فإن فن الكلام في مصر أنبض الفنون الرفيعة بالحياة وأسبقها إلى النهوض وأدناها من الغاية. فإنك إذا وازنت بينه وبين التمثيل والموسيقى في هذا الأسبوع على الأقل والأخص عجبت كيف يتقدم فن الأمة المفكر هذا التقدم، ويتأخر فنها المصور هذا التأخر، حتى يكون ما في ذلك من الخلق والجدة والتطور والشعور، معادلا لما في هذا من النقل والركود والجمود والبلادة

فالتمثيل — ومظهر النبوغ المصرى فيه (الفرقة القومية) — كان خذلاناً من الله لإدارة هذه الفرقة، وبرهاناً من نفسها للناس على أنها لا تعلم ولا تعمل ولا تدبر

أرادت هذه الفرقة أن تساهم في الحفلة الموسيقية التي أقامتها وزارة المعارف في دار الأوبرا الملكية احتفاء بصاحب السمو الإمبراطورى ولى عهد إيران، لأنها تعيش على أموالها، وتعتمد على مشورة رجالها، فاختارت أن تمثل لهذه المناسبة في حضرة المليك المعظم وأمام الخاطب الكريم ملهاة (المتحذلقات) لموليير، وموضوعها كما تعلمين خِطبة عابثة هازلة، يلبس لها خادمان لباس النبلاء، ويخدعان بالحذلقة الغبية امرأتين من أغنى النساء!

كان من السهل لو كان للوزارة (فرقة)، وللفرقة إدارة، وللادارة دراية، أن تطلب إلى كاتب من كتاب المسرح أن يقتبس لها في هذه المناسبة السعيدة موضوع مسرحية ذات فصل واحد من شاهنامة الفردوسي، كحكاية شيرين، أو قصة زهراب ورستم، فيكون تمثيلها أمام الأمير وحاشيته أبلغ في معنى الحفاوة، وأبين عن سمو الذوق، وأدل على أن في مصر تمثيلاً له أدبه المحلى وطابعه الخاص وروحه المميزة. أما متحذلقات موليير فقد مضى على تأليفها مائتان وثمانون سنة، قرأها فيها كل بلد ومثلها كل مسرح؛ فلو لم يدل اختيارها على سقم الذوق لسوء المناسبة، لدل على عقم الأدب لضرورة الاقتباس. ورحم الله من طلب إلى (غزلانزوني) في سنة ١٨٧١ أن يؤلف له (عايدة) لتمثل في هذه (الأوبرا) أمام الأضياف الأوربيين في مهرجان قناة السويس، فقد كان أسهل عليه وأسرع له أن يأمر الممثلين أن يمثلوا له ما شاء من الأوبرات الإيطالية والروايات الفرنسية؛ ولكنه لسمو نفسه وصفاء حسه أراد أن يكون الموضوع مصريًّا واللون محليًّا والتمثيل جديداً فكان له ما أراد!

* * *

والموسيقى — ومظهر الفن المصرى فيها «معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية» — كانت ضرباً من السأم والنثاثة لا نعرف له ضريباً في موسيقى الأمم. فقد أقام هذا المعهد كذلك في داره حفلة ترحيب وتسلية للأمير الخاطب، فكانت ألحاناً مكررة، وأصواتاً منكرة، وبشارف وتقاسيم وأدواراً يعزفها لقلتها البادئُ والمنتهي، ويعرفها لشيوعها الموسيقار والسامع، ولا تكاد الأذن الفنانة المرهفة تنفتح لنغماتها التقليدية المكرورة أكثر من دقائق! وما دامت موسيقانا تسير على نهج (التخت) في وضعه التمثالى الجامد، فهيهات أن تشيع فيها الروح، وتظهر عليها الجدة، ويرتاح إليها الشعور. وأعجب العجب أن هذه الموسيقى الواحدة، يجعلون لها أسماء متعددة؛ فهذه «تحية العروس» وهذه «رقصة الأمل» وهذه «سكرة الموت» ولو وضعت على كل واحدة منها اسم الأخرى لما أنكر ذلك سامع ولا اعترض عليه معترض!

* * *

أما إذاعتنا اللاسلكية فكانت على عادتها إهانة عالية لمصر! فبينما تجدين محطات الإذاعة العربية في العالم تتغذى على الهنيء السائغ من فن عبدالوهاب وأم كلثوم، تجدينها هي تتغذى على الغث البارد من أنامل وحناجر لا هي معجبة ببراعة الفن، ولا هي مطربة بحلاوة الصوت!

أقول لك ذلك يا نفس، وأنا أعلم أن في قوله تفريجاً عنك، وليس فيه إن سمعه سامع ما يغضب الحق ويؤذى الناس!

ابن عبد الملك

بلادة أم اتزان ؟

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

يجئ يوم فى حياة الإنسان يُرزق فيه البلادة المريحة ، وأعنى بالبلادة انتفاء الحدة والعنف فيما يساور النفس من شعور ، ويدور بها من خوالج . فَـتَطَّـةُ بوزهى كل ما يبديه من أسف على فائت ، وهزة كتف خفيفة لانكاد تُلمح هى ما يقابل به الحوادث الجسام ، والبرود أو الجمود هو ما يتلقى به الغمز والطعن والتشهير ، والابتسام هو كل ما يبدو من سروره

زارنى مرة صديق لا يزال على ارتفاع سنه فتىّ الروح يغلى فى عروقه دم الشباب ، ودفع إلىّ بصحيفة وقال وهو يشير بأصبعه إلى موضع فيها ، وكأنه يشكه برمح : « ألا ترد على هذا ؟ » فرفعت رأسى إليه — فإن قامته مديدة ، وأنا كما يعلم القراء ، أو كما لا يعلمون ، قمئ صغير — وسألته : « ماذا ؟ » قال وهو ينتفض كأن به حمى : « هذا الشتم ! هذه القباحة ! هذه السفالة ! هذه . . . »

فاستوقفته بإشارة وقلت : « حلمك ! لقد شتمنى بعضهم مرة فى صحيفة كبيرة فقال عنى إنى (من فراش العار) وأضاف إلىّ زملائى جميعاً فقال عنا إننا (أبناء الزوانى) فهل قال هذا — وأشرت إلى الصحيفة التى ألقاها على مكتبى — شراً من ذاك ؟ »

فترك هذا وسألنى : « ألم تقتله ؟ »

قلت : « يا سيدى لو كنت أعلم أنه خالد لحاولت قتله ، ولكنه فانٍ مثلى ، فلماذا أجشم نفسى عناء باطلاً ، وأتكلف تحصيل الحاصل ، وأتعاطى العبث والسخافة ؟ »

قال باشمئزاز : « هذه فلسفة لا أفهمها ... هه ... من ضربك على خدك ... »

قلت : « لا ، ليست هذه فلسفة ، وإنما هى بلادة ، ثم إنى لا أدير للضارب خدى الآخر ، وكل ما فى الأمر أنى لا أحس ما ظنه الضارب لطمة لى على خدى ... »

فصاح بى : « كيف لا تحس ؟ أيقول عنك إنك من فراش العار ، وإنك ابن زانية وتجئ وتزعم أنك لا تحس ولا تبالى ؟ »

قلت : « حلمك مرة أخرى . إنى أعرف أنى لست من فراش العار ، وأنى لست ابن زانية ، فما يشتمنى به لا يغير ما أعرفه . ثم إنك تتوهم أن الناس يصدقون كل ما يذم به بعضهم بعضاً . وهذا غير صحيح . ولوأن الذى شتمنى التزم القصد ، وآثر الاعتدال فيما يرمينى به لكان أخلق بأن يصدقه الناس ويقتنعوا ، ولكنه أسرف واشتط فأفسد على نفسه مرامه ، فكلامه فىّ ينال منه ولا ينال منى . وقد أخجله ضنى بنفسى على هذه الأوحال فاعتذر ، فهل تدرى ماذا قلت له ؟ »

قال : « لا أريد أن أسمع . يظهر أنك تحاول أن تقلد غاندى... المهاتما غاندى ! » قالها بلهجة المتهكم الزارى

قلت : « ولا هذا أيضاً . إن غاندى حى — مثلك — ولكن أساليبكما مختلفة . أما أنا فأهون ما أقوله فى نفسى أنى أصبحت لا أطيق بعثرة القوة وتبديد الجهود فى العبث الذى لا طائل تحته . أصبحت بخيلاً مقتراً ، أنفق حياتى بحساب دقيق ، وأدخر كل ما ينبغى ادخاره من القوة ؛ وما زلت مسرفاً فى إنفاق حياتى ، ولكن فيما أحب أنا ، وبإرادتى ، لا بالشعور الدافع . وإنه ليحلو لى أن أسمى هذا بلادة ، ولكنه قد يكون اتزاناً ، وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء . ولا تخف . ستراني يوماً أنقض على خصم فأمزقه إرباً إرباً ، ثما نفدت قوتى ، ولا فقدت القدرة على استطابة أكل اللحم البشرى ، وما زلت ذلك الوحش القديم الذى يلذه أن يمزق لحم الفريسة ، وأن يلغ فى دمها . وإذا رأيتنى أسطو على أحد ، وأكر عليه وأصميه ، أو أعذبه تعذيب القط للفأرة ، فاعلم أنى أفعل ذلك بإرادتى ، لأن شعورى غلبنى ، فما يغلبنى شعورى فى هذه الأيام . وعلمى بما أقدر عليه هو الذى يصدنى عن هذه المهاترات الفارغة »

فقال : « لقد تغيرت جداً »

قلت : « إنك تذكرنى بقول القائل :

وقد زعمت أنى تغيّرت بعدها ... ومن ذا الذى ياعز لا يتغير ؟

نعم من ذا الذى لا يتغير؟ حتى الحجر ! ومع ذلك من يدرى؟

لقد كنت فى صدر حياتى مدرساً ، وكان بعض التلاميذ يحاولون أن يعابثونى، فكنت آخذ عليهم طريق العبث وأكتفى بذلك ، وأستغنى عن الاحتياج إلى عقابهم ، وكنت أزعم أن هذه حكمة، والواقع أنى ما عاقبت تلميذاً قط، فى عشر سنين زاولت فيها التعليم، وكان الذى بينى وبين تلاميذى عامراً كل هذا الزمن، ولكنى كنت أديرعينى فى نفسى وأفحصها ، وأغوص فى أعماقها ، أتبين أنى أكره العقاب الخفيف ، وأنه لا يرضينى إلا أن تكون الضربة قاصمة للظهر ، لأنى بطبعى عنيف ، ولما كان لا محل لضربة قاضية من أجل أن تلميذاً لاعبنى أو مازحنى ، وهو لا يريد شراً ، وإنما تغريه بذلك طبيعة الصبى ، فقد كنت أكبح نفسى وأردها عن الأذى ، وأعمل بقول الشاعر :

توقى الداء خير من تصدٍ لأيسره وإن قرب الطبيب

نعم تغيرت ، بمعنى أن بعض الطباع التى كانت تظهر وتخفى فيما مضى ، صارت أبرز وأقوى، فهى الآن السمةُ الغالبة والطابع الملحوظ

هذه خلاصة ما حدثت به صديقى ، وقد قلت له كلاماً آخر كثيراً، نسيته ، فقد طال بيننا الحوار ، وتركنى وهو غير مقتنع بصوابى ، فلم أحفل بذلك . وماذا يضيرنى ألا يقتنع ؟ ولماذا أكلف نفسى تعب إقناعه ؟ أنا الذى جربت مراراً كيف يخيب الأمل ، ويذهب المسعى سدى ؟

وأويت إلى مكتبى فى الليل ، بعد أن نام البيت ، وأعفيت من ضجة الأطفال ، وأخرست لسان الراديو الصاخب ... وعلى ذكر الراديو أقول إن بنىّ مثلى ، يأكلون على ضوضاء الراديو ، ويراجعون دروسهم على ضجات الراديو ، ولا يبدو عليهم أنهم يسمعون ما يصيح به ، أو يبالونه ، ومن شابه أباه فما ظلم ، وإنى لأرجو أن يظلوا مثلى ، وألا يكترثوا لمن عسى أن يسبهم ويزعمهم « من فراش العار » — فى حوار أدبى أو جدل سياسى — ما علينا .

سألت نفسى لما خلوت بها : « أهذا الذى صرت إليه اتزان أم بلادة ؟ وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء ، أم فتور حتى عن محاولة الادراك ؟ وهل النار كامنة تحت هذا الرماد ، أم هى خمدت وأنت تحسبها لا تحتاج إلى أكثر من التقليب ؟ وهل يشى هذا بالقوة ، أو يشى بالضعف ؟ ومن اليأس هذا ، أم من العلم والفهم الصحيح ؟ وحال تدوم ، أم عارض يزول ؟

وطال تفكيرى فى جواب هذه المسائل ، ولم أنته إلى شىء تسكن إليه النفس ، فنهضت وأنا أقول : « ولماذا أعنّى نفسى بهذه المتعبات ؟ وماذا أبالى على كل حال سواءٌ أكان الأمر هكذا أم كذلك ؟ »

وأعجبتنى « لا أبالى » هـذه ، فقد صارت عندى مخرجاً من كل ورطة ، وباباً لتفريج كل أزمة فى النفس . ومن كان يسعه أن يقول — ويكون على نحو ما يقول — « لا أبالى » فقد أوتى الراحة ، ولا أقول السعادة فإنها خرافة .

ابرهيم عبد القادر المازنى

انجليزى يتحدث فى السياسة

لأستاذ كبير

أعرف إنجليزيًّا داهية فى السياسة وإن لم يكن له مركز سياسى ، ولكنه يميل إلى المبادئ الحرة . قابلته مرة وتحدثنا وجرنا الحديث إلى السياسة فقال : إنه يدهشنى أن يكون بين المصريين من يسىء الظن بالسياسة الإنجليزية . قلت : إن كنت قد رأيت من يسىء الظن بها من المصريين فلا يدهشك أن يكون بين الملايين من الناس آحاد يفعلون ذلك إذا كنت حقيقة قد رأيت منهم سوء الظن ولم تتوهمه . قال : ومع ذلك فإن أعظم الناس سذاجة يستطيع أن يفهم أننا لو شئنا نقض سياستنا الموالية لحليفتنا لكان ذلك من أيسر الأمور . قلت : ماذا تعنى ؟ قال : أعنى أننا لا نريد الغدر بصديق ولسنا معروفين بذلك ، فهذا تاريخنا يدل على أننا لم نغدر بأحد ائتمننا ، فقد كنا دائماً أمناء ، وكانت استقامتنا مضرب الأمثال ، وليس لنا نفع نرجوه من وراء الغدر لأننا لا نريد أن نتحمل مسؤولية الحكم فنزيد أتعابنا المالية

ثم سكت قليلاً وعاد إلى الكلام فقال : على أننا لو أردنا لاستطعنا أن نتبع خطة تطلق يدنا من غير أن نتحمل مسؤولية الحكم وأتعابه فى الظاهر . ثم التفت إلى وابتسم ثم قال : ولكنا لا نريد . قلت : إنى لم أفهم كلتك الأخيرة . فسكت كأنما يشاور نفسه ويسألها : هل يبوح بما فى نفسه أم لا يبوح ؟ وبعد ذلك لوّح بيده إشارة عدم الاكتراث لما قد يكون من نتائج ما أزمع أن يفسره وقال :

هناك أمور ثلاثة يمكن استثمارها وهى الأمور الدينية والأمور المالية والأمور الدستورية . ولا أعنى استثمارها مباشرة أو الظهور بمظهر المستثمر لها ؛ بل لا بد إذا اتبعنا هذه الخطة ألا يفهم أحد أننا نستثمرها . ولنجاح هذه الخطة ينبغى ألا يفطن إليها أحد ، ومن أجل ذلك يمكنك أن تثق بسبب شرحها لك أننا لا نريدها لأننا لو كنا نريدها لكتمناها ولأنكرناها إذا فكر فيها أو فطن إليها غريب عنا ، ولحاولنا أن نقنعه بكل الوسائل أننا لا نريدها وأننا لم نفكر فيها

قلت : وما هى هذه الخطة ؟

قال : إنك تعلم أن خطتنا التقليدية كانت عدم المساس بالشعور الدينى فى صدر المحافظين عليه ؛ ومع ذلك كنا نستعمل وسائل كثيرة للتوفيق بين احترام الشعور الدينى واحترام العرف والتقاليد ، وبين مراعاة حالة مصر الدولية ووجود الأجانب بها ومراعاة ما تقتضيه التغيرات الاجتماعية والقانونية والفكرية الحديثة . وقد كان التوفيق بينهما يقتضى مرونة ولباقة إلى حد يجعل ذلك التوفيق غير مُحَسّ به ولا مفطون له ، وعلى ذلك كان يتوقف نجاحنا . ولا أقول إننا نجحنا كل النجاح ، ولكنى أقول إننا نجحنا نجاحاً يسهل إدارة الأمور فاكتسبنا مؤازرة العلماء والقائمين بأمر الدين فيما يهمنا من تصريف الأمور ، كما تمكنا أن نمنع من حدوث ارتباك بسبب اصطدام الشعور الدينى وشعور المحافظة على العرف والتقاليد بمنزلة مصر الدولية وبما تقتضيه التغيرات الاجتماعية والقانونية والفكرية الحديثة ... وهنا ابتسم ابتسامة مكر ودهاء وقال : فلو كنا نريد بسط يدنا فى إدارة شؤون البلاد مباشرة ، لاستطعنا أن نمتنع عن هذا التوفيق بطريق مباشر وبطريق غير مباشر ، واستطعنا أن نشجع المحافظة على التقاليد حتى يستولى على زعامتها أشد الناس تطرفاً ، وأظهرنا فى أول الأمر عدم ميلنا إلى التدخل . وهذه الخطة تؤدى حتماً إلى تدخلنا فى النهاية وإلى كسب الأنصار أولاً وأخيراً وإلى وجود الأعذار والفرص التى تبرر وتسهل ذلك التدخل وتجعله أمراً لا مناص منه حتى لدى كثيرين ممن يكرهونه

قال ذلك وسكت قليلاً وجعل يضرب ركبته بأطراف أصابعه وكأنه مشغول بالتفكير فى أمر ... ثم التفت إلىّ كأنما قد أفاق من انشغاله بالفكر وقال :

أما المسائل المالية فإنكم تعلمون أنها هى التى أطلقت يدنا فى مصر منذ ارتبكت المالية المصرية فى عهد الخديو اسماعيل باشا وما كنا نستطيع أن نجيب طلبات المصريين الوطنية وأن نقيد يدنا فى مسائل إدارة شؤون البلاد لولا أننا أصلحنا المالية ؛ فلو كانت المالية لم تصلح لاضطررنا أن نضرب بمطالب المصريين عرض الحائط بحكم الضرورة ولو جدنا أنصاراً كثيرين من المصريين والأجانب يشدأزرنا فى خطة التمسك بادارة شؤون البلاد ، بل لوجدنا

من المصريين والأجانب ومن الدول أيضاً من يطالبنا بالتمسك بإدارة شؤون البلاد ويصر على ذلك خوفاً من كل على أمواله . لكننا لا نرى من يطالب أو يصر على ذلك لأن مالية الشعب والحكومة تحسنت كثيراً ... وهنا عاد إلى سكوته كأنما يريد منى أن أهضم ما قاله وأن أفكر فيه ، وأقتنع بصدقه قبل استئناف الحديث ، ثم عاد إلى الكلام فقال : لو كنا نريد أن نطلق يدنا فى إدارة شؤون البلاد لاستطعنا أن نشجع الإسراف أو على الأقل نشجع الصرف صرفاً كثيراً على أمور لا تأتى بثمرة اقتصادية ولا بربح اقتصادى مباشر ، وهذا أمر ميسور لنا (أولاً) بسبب شعور مصر بمقام استقلالها بين الدول وما يقتضيه من المصروفات فى الأمور السياسية ، و (ثانياً) بسبب خطر الحرب وما يقتضيه من المصروفات فى الأمور الحربية . وهذا الصرف تطالب به العزة القومية ولا يشك أحد فى مطالبتها به . على أنه مهما حسنت مالية الدولة والشعب فإن مالية الدولة لا تتوقف على موازنة الدخل والمنصرف فى الميزانية وحدها ولا على الاحتياطى من المال لديها وحده ، وإنما تتوقف أيضاً (أولاً) على موارد الدولة ، وتنوعها ضرورى لأنها إذا لم تكن متنوعة وأصيب المحصول الرئيسى بفشل أو تدهور مستمر فى الأسعار ربما ذهب حسن المالية الذى يرر كف يدنا عن التدخل فى إدارة الشؤون . و (ثانياً) تتوقف مالية الدولة أيضاً على دخل الأهالى ، فإذا فرضنا أن ثروة قطر من الأقطار زادت لتحسن طرق الإنتاج ومقداره ولكن زاد عدد السكان زيادة كبيرة وارتفع مستوى المعيشة وزادت الديون التى على الأهالى(1) وكثر المتعطلون عن العمل وكان أكثر أفراد الشعب لا يملكون إلا القليل وبدأ يقل محصول الفدان الواحد فى مقداره إذ كان القطر زراعياً ... أقول إذا اجتمعت كل هذه الأمور وأشباهها لا يختزن أفراد الشعب كثيراً مما كان من ازدياد مجموع ثروة الشعب ، ولا يكون عند الشعب من المتانة المالية ما يسند متانة الحكومة المالية وما يشجعها فى المضى فى الصرف بسخاء على أشياء قد تكون شبه ضرورية . فإذا

(1) هذه غير الديون التى على الدولة .

من برجنا العاجى

حدث فى الأسبوع الماضى أمر أحب أن أسجله هنا : هو قيام القيامة فى الجامعة ضد كتابين قيمين ، لأنه قد ورد فيهما طعن فى الإسلام .

لا أريد أن أنظر إلى الأمر من ناحية التفكير الحر ، ولا من حيث تأثير هذا الوقف فى الحياة العقلية لبلد متحضر ولكنى أريد أن أبحث المسألة من جهة الدين نفسه . وهنا يبدو لى العجب : لماذا كل هذا الفزع كلما وقع بصرنا على عبارة تمس الإسلام ؟ إن الكتب التى عالجت المسيحية وتعرضت للمسيح بالطعن والتجريح تطبع وتنشر فى أوروبا المسيحية دون أن يخشى أحد على كيان المسيحية . ذلك أن الجميع يعلمون أن الأوان قد فات للخوف من مثل هذه الصيحات ، وأن المسيحية التى عاشت عشرين قرناً لا يهدمها عشرون كتاباً . كذلك نستطيع أن نقول فى الإسلام أن هذا الدين المتين الذى عمر نحو أربعة عشر قرناً وثبت لأحداث الزمان وشاهد دولاً تدول وعروشاً تزول وشعوباً تولد وامبراطوريات تقام ، لا يمكن أن يتعرض للخطر أمام كتاب يؤلف أو عبارات تقال . إن هذا الفزع منا لأكبر مسبة لدين عريق عميق . كذلك يدهشنى أن ينشأ هذا الفزع فى جامعة عصرية ، يؤمها شباب قد قطع مراحل الطفولة والصبا الأول وانغرست فى قلبه العقيدة الحارة ، فلا خوف الآن عليه من مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية

إنى أعتقد دائماً أن صحة العقل وصحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق حتى تكتسب المناعة . وأن حبس العقيدة والعقل فى قفص من الزجاج خوفاً عليهما من خطرات النسيم معناه إنشاؤهما على بنية عليلة وكيان سقيم .

توفيق الحكيم

اعتمدت الحكومة على متانة ماليتها الحاضرة وحدها من غير نظر إلى ما قد تؤدى إليه هذه العوامل الاقتصادية فى النهاية. وإذا أردنا أن نطلق يدنا فى إدارة الشؤون ونجعله أمراً محتوماً يطالب به كما كان فى الماضى أمكننا أن نقلل من أثر هذه العوامل وأن نهوّن أمرها لدى الحكومة . . . قال ذلك ثم التفت إلىّ وقال : ولكن الحكومة المصرية متيقظة تمام التيقظ ... وقال : ومع ذلك يمكننا — إذا شئنا — أن نتغلب على هذه اليقظة . ولكننا كما أوضحت لك لانشاء تحمل مسؤولية وأعباء الحكم حتى ولو أنه من المستطاع تحميل الحكومة الوطنية التى تطلق يدنا كل الإطلاق مسؤولية وأعباء الحكم . ثم رجع إلى سكوته الطويل كى أتدبر ما قاله عن المسائل المالية والاقتصادية كما سكت طويلاً بعد كلامه عن المسائل الدينية

وبعد ذلك التفت إلىّ مرة أخرى وقال :

بقيت مسألة نظام الحكم ، ونحن بطبيعتنا نميل إلى الحكم الدستورى الذى كنا أول من شاده بين الأمم ، ونفضل الاتزان والاعتدال فى الحكم الدستورى. وكثيراً ما تحول الدستور فى بعض الدول الأوربية إما إلى حكومة نفعية غير ديمقراطية من طبقة المغامرين، وإما إلى حكومة رعاع مؤقتة. ولكننا فى انجلترة قد صنا الديمقراطية عن الحالتين؛ وهذا هو سبب ثبات الديمقراطية عندنا . ومن أسباب ثباتها أيضاً قدم عهدنا بالنظام البرلمانى الدستورى ومحافظتنا على القديم من تقاليدنا الدستورية ، أما عندكم فلا يوجد تقاليد كما عندنا تتغلب على النزعة التى ذاعت فى كثير من الأمم للتخلص من النظام البرلمانى أملاً فى إصلاح أو رقى أو تحسن سريع يأتى على يد حكومة قادرة من الأكفاء يمكن انحصار السلطة فيها فى أيد قليلة ويمكن عدم تقيدها بدورات المشاريع وعدم تأخرها؛ بسبب الشورى وبسبب قيود نظم الحكومات الدستورية . وقد بدأ الكتّاب يكتبون فى هذه النزعة فى مصر وبدأ بعضهم يحبذها . فلو أننا كنا نريد إطلاق يدنا كل الإطلاق فى إدارة شؤون البلاد لاستطعنا أن نشجع هذه النزعة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر وكان يمكننا أن نتخذها وسيلة لخلق حالة فى البلاد تتطلب أن نتدخل بسبب نزاع أنصار الديمقراطية وأنصار الدكتاتورية وما يؤدى إليه . بل يمكننا أن نخلق حالة تدعو كثيرين إلى مطالبتنا بالتدخل سواء أكان ذلك بسبب هذه الحالة التى يخلقها النزاع بين الدكتاتورية والديموقراطية أو بسبب المسائل المالية أو بسبب المسائل الدينية لو شئنا أن نتبع الخطة التى أوضحت لك أننا يمكننا أن نتبعها فى المسائل الدينية أو المالية أو الدستورية؛ ولكننا كما قلت لانشاء اتباع هذه الخطة حتى ولو أدت إلى إطلاق يدنا إطلاقاً تاماً فى إدارة شؤون البلاد من غير تحمل مسؤولية وأعباء الحكم، إذ نستطيع أن نجعل من نشاء يتحملها عنا إذا جاءت نتائجها أحياناً عكس ما توقعنا . ولو أننا كنا نشاء اتباع هذه الخطة لما كنا نتحدث فيها بصراحة إلى كل من نقابل من الناس

وهنا غلبه الضحك فضحك ثم قال : والمأمول ألا يغفل المصريون من تلقاء أنفسهم بدون دافع منا ما يؤدى إلى إحدى الحالات الثلاث التى تحتم تدخلنا ونحن آسفون على التدخل .

قارئ

الأثر العـــــربي

في الثقافة الإنجليزية في القرون الوسطى

للأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد

ليس من الممكن معالجة موضوع الأثر العربي في الثقافة الانجليزية بتفصيل واستيعاب في مقالة واحدة أو بضع مقالات . ولا من الممكن أيضاً ذكر الكثير من أسماء العلماء والمؤلفين والمترجمين الذين ساهموا بنصيب وافر في نقل الثقافة العربية إلى دائرة الفكر الانجليزي أو الأدب الإنجليزي . ولذلك سأحاول معالجة هذا الموضوع في ثلاث مقالات فقط : هـــذه المقالة وموضوعها « في القرون الوسطى » . والمقالة الثانية وموضوعها « في عصر النهضة » . والمقالة الأخيرة وموضوعها « في القرنين الماضيين » . وستكون معالجتي إجمالية عامة

إن ما أعنيه بالأثر العربي هنا هو كل ما وصل إلى الثقافة الإنجليزية عن طريق اللغة العربية ، سواء أكان ذلك من إنتاج العرب أنفسهم أم من إنتاج غيرهم من الأمم التي ترجمت فلسفتها وعلومها وآدابها إلى اللغة العربيــة . وأعني بالثقافة الإنجليزية ما أنتجته القريحة الإنجليزية من أدب وفلسفة وعلم وكتب حينئذ باللغة اللاتينية التي كانت لغة التأليف والآدب في انجلترا وغيرها من ممالك أوربا في القرون الوسطى

لعلنا نذكر أن بغــداد كانت مقر الخلافة العباسية ، وأن خلفاء هذه الدولة قد انصرفوا بعد أن استتب لهم الحكم إلى تشجيع العلم والعلماء ، فازدهرت العلوم على اختلاف أنواعها ، وبدأ عصر جديد هو عصر الترجمة من اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية والهندية . وبلغ ذلك العصر أوجه في أيام الرشيد والمأمون . ووجد في اللغة العربية ما يسمى « بالعلوم الدخيلة » أي التي دخلت في اللغة العربية من لغات أخرى ، كالطب والفلسفة والمنطق والفلك والرياضة . ويعزى أكثر الكتب التي ترجمت حينئذ إلى أرسطوطاليس وأفلاطون وبطليموس وأبقراط وأقليدس من علماء اليونان وفلاسفتهم . وكان أكثر المترجمين من غير العرب — كما نعلم — لأن العرب أصحاب السيادة كانوا منصرفين إذ ذاك إلى العناية بنظام الحكم والسياسة . ولأن من قاموا بالترجمة من السريان والنصارى واليهود كانوا على علم كاف بالعربية واللغات الأخرى المترجم عنها . نمت هذه العلوم الدخيلة وعكف على دراستها وترقيتها كثير من العلماء حتى أصبحت بغداد مركزاً للثقافة العربية في الشرق

امتدت فتوح الإسلام إلى شمال أفريقيا وجزيرة صقلية وبلاد الأندلس ، ووطد العرب سلطانهم هناك ، وهاجر إلى تلك الممالك كثير من العلماء الذين تفقهوا في العلوم الإسلامية والدخيلة ، ووجدوا من إكرام الخلفاء والأمراء لهم ما شجعهم على تنمية هذه العلوم ونشرها ، وأقبـل العلماء والطلبة من المسلمين واليهود والمسيحيين على دراسة الفلسفة وعلوم الطب والرياضة والفلك وغيرها في المعاهد الإســلامية والمكاتب العامة التي أسست في طليطلة وقرطبة وغرناطة وأشبيلية حتى أصبحت هذه المدن الأندلسية مراكز الثقافة العربية في الغرب كما كانت بغــداد في الشرق

وإذا عرفنا أن أثر أية لغة في لغة أخرى إنما ينشأ عن الاتصال المباشر أو غير المباشر بين متكلمي هاتين اللغتين وجب أن نبحث عن : « متى وكيف وجد الاتصال بين العرب والانجليز في القرون الوسطى » وهنا نجد أمامنا ميدانين اتصل فيهما العرب بالأوربيين عامة ومن بينهم الإنجليز . الميدان الأول هو الميدان الشرق في مصر وفلسطين والشام وآسيا الصغرى أيام الحروب الصليبية ، والميدان الثاني هو الميدان الغربي في جزيرة صقلية وفي الأندلس. وفي كلا الميدانين كان تأثير العربية في كافة الثقافات الأوربية ومن بينها الإنجليزية . وربمــا كانت انجلترا أقل الممالك تأثراً بالنفوذ العربي

بدأت الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وتوالت ست مرات حتى أوائل القرن الثالث عشر . واشتركت في هذه الحروب الصليبية كل ممالك أوربا ، كما قاد هنري الثاني ملك الإنجليز جنوده في الحرب الصليبية الثالثة ضد العرب . وكانت هذه أول مرة في التاريخ يلتقي فيها العرب والإنجليز وجهاً لوجه ، ويرى الإنجليز ما كان عليه العرب من حضارة وتفوق في فن الحرب وتعبئة الجيوش وطرق الهجوم والدفاع . وكان لهذا الاتصال أثره المباشر في أن نقل الإنجليز عن العرب نظم الحرب والتحصين ، ووسائل النقل ، واستعمال النقود وتوزيع الضرائب وصنع الزجاج . ويرجح علماء اللغة أن بعض الكلمات قد تسرب من العربية إلى لغة الإنجليز (أعني اللاتينية) في ذلك العصر . وذلك مثل كلمة Cotton القطن ، Sugar السكر ، Zarget الدرقة

Guide القائد ، وغير هذه الكلمات مما لا مجال لذكره الآن . ولم يترك هذا الاتصال أثراً قوياً فى الأدب الإنجليزى لأنه كان اتصالاً حربياً ولم يكن اتصالاً علمياً

أما فى الميدان النربى فإن جزيرة صقلية كانت تحت حكم الأغالبة من العرب من أوائل القرن العاشر إلى أواخر القرن الحادى عشر . وبعد سقوط هذه الجزيرة فى أيدى النرمانديين ظلت اللغة العربية لغة الكتابة والتأليف بجانب اللاتينية والإغريقية ، ولقى العلماء من المسلمين واليهود كل تشجيع وعطف من الملوك المسيحيين ، وبخاصة فردريك الثانى ملك صقلية الذى جمع ببلاطه كثيراً من نخبة الفلاسفة والأطباء والمنجمين وعلماء الرياضة . وكذلك شجع الملك روجر الصقلى العلماء على التأليف والترجمة إلى اللغة اللاتينية ، إما من العربية ، وإما من الإغريقية . وكانت هناك علاقات صداقة قوية بين البلاط الانجليزى ، وبين بلاط الملك روجر الصقلى الذى عهد بمنصب ديوان الإنشاء فى بلاطه إلى انجليزى يسمى Robert of Selby وقد مهد هذا الانجليزى لكثير من العلماء الانجليز الإقامة فى بلاط الملك روجر والاتصال بعلماء العرب ، وترجمة بعض مؤلفاتهم ، ونقل بعض الثقافة العربية إلى ثقافتهم . وكذلك نجد انجليزياً آخر تشير إليه السجلات الصقلية العربية باسم « القائد برون » ، واسمه بالانجليزية Thomas Brown وقد شغل وظيفة القضاء فى البلاط الصقلى ، وعرف اللغة العربية ، ثم غاد بعد ذلك إلى انجلترا حيث اختاره الملك هنرى الثانى وزيراً للمالية سنة ١١٥٨م . وقد كان من نتيجة هذا الاتصال بين علماء الانجليز وعلماء العرب فى البلاط الصقلى أن أخذ الانجليز عن العرب طرق البحث الفلسفية ، وترجموا بعض الرسائل فى الفلك والرياضة.

أما فى الأندلس فإن تعاون المسلمين واليهود والمسيحيين فى البحث والتأليف ، وتسامح الولاة من المسلمين ، وازدهار الحركة العلمية والأدبية قد فتح الطريق أمام طلاب العلم من ممالك أوربا المختلفة فوفدوا إلى المعاهد الإسلامية الأندلسية للدراسة والترجمة إلى لغاتهم . ونذكر من بين هؤلاء ادلار الباجى الإنجليزى (Adlar of Bath) الذى سافر كثيراً فى الشام وفلسطين وصقلية ثم درس فى طليطلة ، وحين عاد إلى انجلترا أدهشه ما وجد عليه القوم من جهل بعلوم العرب وفلسفتهم (كما يقول هو) فأدخل فى الثقافة الإنجليزية والفلسفة طريقة التفكير الحر فى البحث . وكذلك ترجم من العربية رسالة فى الفلك اسمها «الأزياج» واستبقى كثيراً من الكلمات العربية فى ترجمته ، وألف كتاباً سماه «المعضلات الطبيعية » اعترف فيه بفضل الدراسة العربية ، وذكر فيه كروية الأرض ، وأن المادة لا تفنى ، وشرح أسباب الزلازل ، وكان يعتمد فى كل ما كتب على الأدلة العقلية أو التجربة .

وممن تتلمذ من الإنجليز على العرب Robert of Chester فقد درس فى الأندلس وهو أول من ترجم القرآن من العربية إلى اللاتينية ، كما ترجم كثيراً من الكتب فى علم الجبر والكيمياء . ولا تزال هاتان الكلمتان فى الإنجليزية حتى الآن : Algebra و Chemistry وهناك أيضاً تلميذ آخر يسمى ألفرد الإنجليزى Alfred the Englishman درس فى الأندلس وترجم من العربية كتاب النباتات لارسطوطاليس .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ميخائيل الاسكتلندى Michael de Scott فقد زار صقلية ودرس فى طليطلة ثم ترجم من العربية رسالة فى علم الفلك لمؤلفها نور الدين أبى إسحاق البتروجى ، ونقل فلسفة ابن رشد ، وعلق على كتب ابن سينا وترجم من العربية كتاب الحيوان لأرسطوطاليس

وكذلك عرف الإنجليز طب العرب ، وكيفية استعمال الاسطرلاب ، واستبقوا فيه بعض الكلمات العربية كالمغرب ، والمرى ، والقنطرة ، كما اقتبسوا الطرق العربية فى الحساب

ولما كانت الفلسفة والعلوم والآداب فى القرون الوسطى قوية الارتباط بعضها ببعض تأثر الأدب الانجليزى مباشرة بكل ما ترجم من العربية إلى اللاتينية من فلسفة أو علم أو أدب . ويذكر علماء الأدب أن تشوسر الشاعر الانجليزى القديم اقتبس فى أشعاره بعض المعانى من كتاب اسمه (أمثال الفلاسفة) ، وكان قد ترجم هذا الكتاب أولاً من العربية إلى اللاتينية ثم ترجم بعد ذلك من اللاتينية إلى الإنجليزية ، وهو أول كتاب انجليزى طبع بمطبعة كاكستون . وكذلك كتب تشوسر رسالة فى الاسطرلاب اعتمد فيها على كتاب « الاسطرلاب » المؤلف العربى « ما شاء الله » وعلى كتاب للقبيسى اسمه « مقدمة فى علم الفلك » . وكتب أيضاً رسالة سماها « الخبز واللبن للأطفال » تجلت فيها الروح العربية

وقد ترجمت مجموعة من القصص العربية إلى اللاتينية ومن بين هذه القصص بعض حكايات من كتاب كليلة ودمنة ، وظهرت هذه القصص فى الآداب الأوربية عامة كما ظهرت فى الأدب

أعلام الأدب

إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

ولد إسخيلوس عام ٥٢٥ ق . م فى قرية[1] كان يعكف أهلها على عبادة دمتيربة الزراعة ، وديونيزوس[2] إله الخمر ، وهى قرية صغيرة متاخمة لقرية إيكاريا التى نشأ فيها الشاعر تسبيز الذى يعزون إليه نشأة الدرام

وقد ذكر لنا اسم أبيه فى الأبيات التى أوصى أن تنقش على قبره حيث يقول :

هنا فى سهل جيلا المثمر الخصيب

يضم هذا اللحد رفات إسخيلوس بن يوفوريون

فتى أثينا ، الذى شهد له الميدون

وعرفت بأسه مرثون

ولقد برع إسخيلوس فى الشعر منذ حداثته وكان يغشى حلقات الشعراء ويدرس طرائقهم ويحفظ أناشيدهم فإذا خلا إلى نفسه رددها وراح يهتف بها وقد راقته أغانى تسبيز فكان يقلدها وينظم المقامات على نسقها ، ثم فرغ لنظم الدرامة الطويلة التى ثار فيها على العرف فكتب له التوفيق حتى إذا انبثق فجر القرن الخامس قبل الميلاد ، وبلغ الفتى السادسة والعشرين من عمره استطاع أن يشهد الناس فنّه فى أكبر مسارح أثينا حيث مثلت أولى رواياته فبهرت الأثينيين وعرضت عليهم لوناً جديداً من أدب الدرام كان ثورة عنيفة على الماضى ودعامة وطيدة لمسرح المستقبل

ولما نشبت الحرب بين فارس واليونان ألقى الشاعر يراعه وامتشق سيفه وأسرع إلى مرثون الخالدة هو وأخوه فأبليا بلاء حسناً ترك فى نفس إسخيلوس أثراً عظيماً من الزهو والاعتداد لم يمحه نصف قرن عاشه بعد ذلك

ثم تلت موقعة مرثون التى استشهد فيها أخوه (٤٩٠ ق . م) فترة من السلام فرغ فيها إسخيلوس إلى أدبه واستطاع خلالها أن يحرز النصر على جميع منافسيه فى حلبة الشعر للمرة الأولى فى المسابقة العامة عام ٤٨٤ ق . م

ثم دعا داعى الوطن بعد ذلك بأربعة أعوام فترك أثينا مع جميع أهلها ليشترك فى موقعة سلاميس ، وليناضل فوق صفحة البحر فى تلك المجزرة المروعة التى ذابت فيها جيوش كسرى وحطمت أساطيله وفر أشتاتها إلى بلاده بعد أن شهد الهزيمة بعينيه ، فسلمت اليونان وسلمت أوربا إلى الأبد من التبربر

وقد اشترك بعد ذلك فى حروب تراقيه عام ٤٧٦ كما تدل عليه جذاذات من ثلاثيته المفقودة المساة (ليكورجوس)

وفى سنة ٤٧٥ نظم مأساته (نساء إطنة) وكان إذ ذاك فى سفارة سياسية إلى سيرا كوزا

وقد رحل إلى سيرا كوزا مرة أخرى ، ونظم فيها درامته (الفرس) التى حازت الجائزة الأولى عام ٤٧٢

وفى سنة ٤٦٨ ظهر منافسه العظيم سوفوكليس فى ميدان المسرح فجأة ففاز على إسخيلوس بالجائزة الأولى ، وكان لفوزه أثر بليغ فى نفس إسخيلوس لم يمحه أن فاز (إسخيلوس) بعد ذلك بجوائز عدة كان يسيل لها لعاب الشاعر الشاب

وقد عاش إسخيلوس عشر سنوات لا ينسى هزيمة سنة ٤٦٨ حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه هاجر إلى صقلية بسبب ذلك ، ويقول بعضهم إنه كان كلما ذكر تلك الهزيمة الأدبية دمعت عيناه وتم على الشاعر الشاب

(١) إسمها إيليوزيس

(٢) إسمه الكامل ديونيزوس زجريوس

الإنجليزى . وقد ضمن الشاعر الإنجليزى Vohn Lydgate بعض أشعاره كثيراً من هذه القصص والحكايات العربية

ويعزو بعض علماء الأدب انتشار الأشعار الغرامية الشعبية التى كان ينشدها الموسيقيون المتجولون فى القرى الإنجليزية فى القرون الوسطى إلى نفوذ عربى لمشابهتها كثيراً للأشعار الغرامية الأندلسية ، وبخاصة الزجل ، ويذكرون أيضاً كتابين كان لهما الأثر فى انتشار هذا النوع من الشعر الغرامى وهى كتاب « الزهرة » لابن داود وكتاب « طوق الحمام » لابن حزم وموضوعهما الحب العذرى ، وقد ترجما إلى اللاتينية[1]

هذه فكرة إجمالية عن « أثر اللغة العربية فى الثقافة الإنجليزية فى القرون الوسطى » وسأعالج ذلك الأمر « فى عصر النهضة » فى العدد القادم إن شاء الله .

عبد العزيز أمين عبد المجيد

(١) أنظر مقال الأستاذ جب عن الأدب العربى فى كتاب تراث الاسلام

وفى عام ٤٥٦ توفى فجأة فى مهاجره ودفنت رفاته فى جيلا .

هذه هى أهم الوقائع فى تاريخ حياة إسخيلوس . ولا نستطيع أن نتناول أدبه بالنقد أو التحليل قبل أن نقف قليلاً عند هـذه الوقائع نستخلص منها ما ينفعنا فى دراسته وما يكشف لنا عن نواحى نبوغه

وليس من شك فى أن نشأة إسخيلوس الأولى وبيئته كان لهما أثر بعيد فى أدبه . بيد أن هذه النشأة وتلك البيئة ليسا شيئاً إذا قيسا إلى الأثر الكبير الصارم الحاسم الذى تركه فى نفسه خوض غمار تلك الحروب الدامية المنيفة التى شنتها على بلاده فارس ، والتى كانت حرباً بين جيش جرار كثيف يقدرون عدده بألف ألف أو يزيد ، وبين أمة بأكملها قليلة العدد شديدة البأس ساهمت جميعاً ، رجالا ونساء وأطفالاً ، فى آلام الحرب ، حتى لقد هجرت أثينا إلى إحدى جزائر البحر ، وقام رجالها فى السفائن يصارعون المنون ويغالبون الموت . ويهزأون بجبروت إجزرسيس ، حتى كسروا شوكته وظهروا على أساطيله وأطعموا السمك ووحوش الماء لحوم أبطاله

لقد تركت مرتون فى نفس إسخيلوس أثراً لا يعد له إلا أثر سلاميس ، وليس يعدل هذين الأثرين شيء آخر فى نفس الشاعر الجندى الذى أخذ يبنى مجده الأدبى على أكوام من أشلاء القتلى الذين أكلتهم هذه المجزرة الهائلة بين عدو قوى كثير العدد وبين أمة ضعيفة بعددها كثيرة بوطنيتها استطاعت ببضعة آلاف أن تقهر أكثف جند عرفه التاريخ

خرج إسخيلوس من هاتين المعركتين شخصاً آخر شديد الايمان بقوة السماء مكبراً لسلطان الآلهة أيمـا إكبار ، مقتنعاً باليد العليا التى تسهر على الكون وتدبر أموره ، وترد الحق إلى المظلوم وتكبح جماح الظالم مهما كان ذا حول وطول وقوة . . وقد ظهرت هذه الروح فى أكثر دراماته التى نظمها بعد هـذه الحرب ، وهى أروع ما نظم

أما سـنة ٥٠١ فهى مفتتح القرن العظيم الباهر ، القرن الخامس قبل الميلاد الذى يزهى على الزمان بما أفاء على الانسانية من علم وأدب ومن نور وعرفان ... وقد كان مطلعه مطلع سعد لعبقرية إسخيلوس ، فقد مثلت أولى دراماته فى أولى سنى هذا القرن ، وسنه حينذاك لم تتجاوز السادسة والعشرين

ولعل عام ٤٨٤ ق . م هو أهم الأعوام فى تاريخ الأدب اليونانى جميعاً ... وذلك أن مؤرخى هذا الأدب يجعلونه بداءة الفترة الذهبية المجيدة ليس فى تاريخ الأدب اليونانى فحسب ، بل فى تاريخ الأدب الصرف قاطبة ، وهم يبدأونها بهذا العام الذى أحرز فيه إسخيلوس أولى جوائزه الأدبية فى المسابقة العامة بدرامة مفقودة قلب بها الأوضاع القديمة رأساً على عقب ، ووضع الدعامة القوية القويمة للمسرح الحديث ، حتى ليصح أن يطلق على هذه السنة : السنة الأولى تاريخ الأدب المسرحى

وهم يجعلون هذه الفترة بين عامى ٤٨٤ و٤٣١[1] حينما أحرز يوربيبيدز أخرى جوائزه بدرامته الخالدة ميديا ... وعلى ذلك تمتد الفترة إلى ثلاث وخمسين سنة مثل فيها على مسرحى أثينا أكثر من ألف درامة منها تسعون لأسخيلوس ومائة وثلاث وعشرون لسوفوكليس وثمانون ليوربيبيدز وأكثر من مائتين لشاعر عظيم لم يحفظ لنا الأثر اسمه ومئات أخرى لشعراء نعرف بعضهم ونجهل بعضهم الآخر ... وليس الكم فقط هو العجيب فى هذا الإنتاج الباهر ، بل الـكيف أيضاً هو الذى يسحر ويبعث على الدهش ، فهذه الدرامات السبع الباقية فقط من إسخيلوس ، والسبع الباقية من سوفوكليس ، والثمانى عشرة الباقية من يوربيبيدز هى ثروة فائقة من تراث هذه الفترة ، والقارىء يقف حيالها ذاهلاً لعمق التفكير وجمـال الأداء ؛ وقوة السبك ، وسمو الغاية والخلو من الزيف والبهرج ... وهى مع ذاك ليست أجمل ما أبقت عليه يد العفاء من الثروة الضائعة ، إذ أن أكثر الدرامات التى فاز فيها الشعراء بالجوائز الأولى ما تزال مفقودة ، والأمل معقود على نجاح الكشف فى أسكندريتنا للحصول على الغُرَر والدُّرَر من نتاج الذهن اليونانى العظيم .

وقد لا نجد فى تاريخ الأدب المسرحى فترة تشبه هذه الفترة اليونانية إلا فترة الأربعين[2] الذهبية فى تاريخ الأدب الإنجليزى فى عصر اليصابات ، فقد كتبت ومثلت فى هذه الفترة جميع درامات شكسبير ومارلاو وبن جونسون وبومون وفلتشر وماسنجر وويستر وهايود ... الخ ... غير أن الشعراء الإنجليز فى هذه الفترة كانوا على كل حال تلاميذ هـذا السلف الصالح من شعراء أثينا ،

(١) يعدها لويس كامبل مترجم اسخيلوس وسوفوكليس إلى ٤٢٠ ق . م

(٢) يجعلها بعض مؤرخى الأدب الانجليزى ثمانى وثلاثين سنة

وكثيراً ما سطوا على آثارهم واستباحوا أخيلتهم واستعملوا طرائقهم التي أوفوا بها على الغاية

وكما تتشابه الفترتان في الإنتاج الأدبي للمسرح فكذلك تتشابهان في الباعث على النهضة الأدبية في كل منهما . فلقد كان الباعث في الفترة اليونانية هو هذه الحرب الضروس التي شنتها فارس على اليونان والتي كانت مرحلتها الأولى في مراثون ، ومرحلتها الثانية في سلاميس حيث حطم أسطول إجزرسيس ، مما أيقظ الروح القومي في هيلاس وأجج نيران الوطنية في قلوب الأثينيين خاصة ، فجاءت النهضة الأدبية المسرحية وليدة هذا الروح

أما الفترة الإنجليزية فقد جاءت عقب تحطيم الأرمادا الأسباني اللجب الذي أعده فيليب الثاني لغزو انجلترا . . . وهذا التشابه في الباعث بين الفترتين يدل على ما بين الوطنية والأدب من وشائج قوية تزيدها النصر قوة وتمهد لها بمزيج عجيب من الحماسة والكبرياء يقابله مزيج آخر من المآسي والآلام

* * *

وبعد ، فماذا صنع إسخيلوس من هذا كله ؟ وكيف ثار ثورته على الماضي العتيق وشاد هذا البنيان الشامخ ؟ وما هي هذه المثل التي كان ينشدها ويعمل على إقامتها لتكون نبراساً للذهن اليوناني ؟ وإلى أي حد نجح في جهاده الشاق الجليل الطويل ؟ ومن يا ترى كان عونه في هذا الجهاد المشكور المبرور ؟ وكيف يستطيع كاتب أن يستعرض كل هذا التاريخ ، وأن يلخص درامات إسخيلوس السبع أسرع تلخيص وأقصره في مثل هذه الفصول المقتضبة الضيقة ؟

روى المؤرخون أن إسخيلوس كان لا يأنف أن يرى النقص في إحدى دراماته فيعترف به قبل أن يأخذه عليه أحد من النقاد ثم يعمل على إصلاحه في الدرامة التي تليها ، وقد يحدث أنه يفوز بالجائزة الأولى في إحدى المسابقات بدرامة كان يشك أكبر الشك في نجاحها ، فإذا تناول الجائزة لم يأبه أن يلفت الناس حوله إلى نواحي النقص في تلك الدرامة التي حازت إعجابهم واستولت على شعورهم . . . وفي هذا دليل على أن إسخيلوس كان ينشد المثل الأعلى لفن الدرامة ، وكان لذلك يدأب على عمل التجارب ليأخذ بالأصلح وليتوقى ما لا غناء فيه ، وكان لا يأنف من الانتفاع بجهود الآخرين وتجاربهم ، وكان يعنى عناية خاصة (بتكنيك) المسرح فكان بذلك أول المخرجين الأكفاء وأعظمهم ... وهو أول من خفض عدد أفراد الخورس وزاد عدد الممثلين ، وجعل الغناء والإنشاد في المرتبة الثانية بعد الكلام والحوار . وهو أول من ابتكر الثلاثية ، أي المأساة الكبيرة التي تتكون من ثلاث مآس تربطها عقدة واحدة ويجمع بينها موضوع واحد . وقد كان يعتبر هوميروس معينه الأول ، فكان يقول إن مآسيه فتات من مائدة هومر ، لكنه مع ذلك ابتكر الدرامة السياسية وانتزعها من الأحداث الجلائل التي كانت تحدق بوطنه في ذلك العصر ... وكان يعنى عناية فائقة (بالحبكة) الدرامية في مآسيه ويجرى في خلالها تجاريب الحياة التي تمرس بها فكانت دراماته تشبه التماثيل الفنية الرائعة التي يعنى فيها الفنان بإبراز معنى خاص يجتهد في أن يبرز لأول وهلة للرائي فيملك عليه لبه ويستحوذ على إعجابه

وكان السَّراة من أهل أثينا وأغنياؤها يتسابقون إلى الإنفاق على درامات إسخيلوس ، وقد ثبت أن بركليس نفسه ، وهو سيد هذا العصر قد كان ال : (خوريجس Chorêgus)(1) لأكثر من درامة من درامات إسخيلوس

وأبرز ما يلفت الإنسان من دراماته هو هذا الروح السفسطائي الذي يشيع فيها جميعاً ، حتى لقد دعاه المؤرخون أول مبشر بمذهب السفسطائيين قبل أن يوجد السفسطائيون ، فهو الذي لم يبال أن يتناول في دراماته ذوات الآلهة بالنقد والتجريح ، ومهد بذلك لموجة الشك التي طغت على اليونان بعد ذلك ... حقيقة لقد سبقه كثير من الفلاسفة إلى ذلك ، لكن أحداً منهم لم يجرؤ أن يصنع كما صنع هو حين قدم للمسرح درامته الخالدة العظيمة (بروميثوث) والتي كانت ثورة على سيد الأولمب فتحت الطريق على مصراعيه للملحد الأكبر وأعظم أدباء اليونانيين (يوربيدز)

وكان إسخيلوس يؤمن إيماناً تاماً بالقضاء والقدر ، وأنه لا حيلة للانسان في دفع ما يحل به من أذى ولا سيما إذا تمت النكبة وكان يعتقد أن كل المصائب هي نتائج لمقدمات تنتهي إليها حتماً ، وأن كل الأمور العظام هي كذلك نتائج لأمور أقل منها شأناً ، ومقدمات لأمور أخرى أجل منها وأعظم ... وهذه هي وحدة الكون ...

(1) هو الرجل الغني الذي كان يلجأ إليه الشاعر ليؤجر له فرقة من المنشدين وليتولى الانفاق على الدرامة حتى تمثل

في ذكرى يوم الاستقلال

إلى بلدي الحبيب

للأستاذ علي الطنطاوي

« في مثل هـذا اليوم (٨ مارس) ولد الاستقلال السوري . الذي عاش عامين ثم مات في (ميسلون) »

متى يا زمان الشؤم يعود بلدي كما رآه الله دار السلام ومعرض الجمال ، ومثابة المجد والغنى والجلال ؟ متى يرجع بَرَدَى يصفق بالرحيق السلسل ؟ متى تثوب الأطيار المروعة إلى أعشاشها التي هجرتها ، ورغبت عنها حين سمعت المدافع ترميها بشواظها الحامي ؟ متى تؤوب تلك الحمائم فتشدو على أفنان الغوطة تنشد أغنية السلام؟

متى ؟ متى يا زمان الشؤم ؟

أتظل الأشجار عارية في جنات الغوطة . لا تعلو هاماتها تيجان الزهر ، ولا تتدلى أغصانها بعناقيد الثمر ، لأن الزراع قد أغفلوها فلم يتعهدوها بالسقيا ، ولم يجروا إليها الماء ؟ أتبقى هذه الحقول والجنائن جرداء قاحلة لأن الفلاحين انصرفوا عنها مستجيبين لنداء الوطن الجريح . الممزق الأوصال ، مهطعين إلى داعي الجهاد حين أذن بهم : حي على خير العمل ؟

متى ؟ متى يا زمان الشؤم يستريح الشام (بلدي الحبيب) ؟

***

ما رأيتك استرحت يا (بلدي الحبيب) ساعة واحدة ، فهل كتب عليك أن تظل أبداً في تعب وعناء ؟ إني لم أكد أتبين نور الحياة وأرى وجه الدنيا ، حتى رأيت المدرس يدخل علينا (معشر الأطفال) مربد الوجه فزعاً مذعوراً . فسألنا : ماله ... فقالوا لنا كلاماً لم نفهم له معنى ، قالوا : إنها الحرب ! ولكن أي حرب ... إن المدرسة مفتوحة ، والأسواق قائمة ، والمدينة هادئة مطمئنة فأين هي هذه الحرب ؟

قالوا : هي هناك في مكان بعيد . فضحكنا وقلنا : هل هناك أبعد من (الصالحية) أو (المزة) إننا لا نبلغها حتى نمشي ساعة على الأقدام ، وليس فيها حرب ، فأين هي هذه الحرب ؟

وهزئنا ولبثنا نلعب ، ولكن الأيام أرتنا وا أسفاه هذه الحرب: رأيناها في أسواق دمشق ، عندما شاهدنا القتال يدور فيها كل صباح من أجل رغيف من الخبز ، والفرن مغلق ما فيه إلا كوة واحدة مفتوحة ، يقوم عليها الخباز والجندي إلى جانبه ، يدعو واحداً بعد واحد من هؤلاء الناس الذين سدوا الشارع بكثرتهم لا يطلبون صدقة ولا إحساناً ، وإنما يطلبون الخبز بالذهب فلا يجدونه ، وما شحت السماء بالقطر وما أجدبت الأرض ، ولكن (حلفاءنا ...) الألمان . استأثروا بأطايب القمح وتركوا لنا شر الحنطة وأخبث الشعير ثم يا ليت أنا وجدناه

نعم ، لقد رأينا (نحن الأطفال) الحرب في شوارع دمشق حين أبصرنا الرجال يأكلون قشور البطيخ ، وينبشون المزابل من الجوع ؛ ثم رأيناها أوضح وأظهر ، حين لم نعد نبصر في الشام رجالاً لأن الرجال كلهم في الحرب ... ثم رأيناها أشد ظهوراً بطلعتها الكالحة القبيحة حين تعودنا مرأى جثث النساء والأطفال الذين ماتوا من الجوع ، نراها كل صباح ومساء ، في غدونا إلى المدرسة ورواحنا منها ...

في وسط هذه المذبحة المرعبة ، وخلال رائحة البارود ، وعزيف المدافع ، وإعوال اليتامى والثاكلات ... نشأت وعرفت الحياة فرأيت (البلد الحبيب) نصفه مقبرة للأموات ، ونصفه مستشفى لمن ينتظر الموت

***

وفي ذات صباح أفقنا على قصف يزلزل البلد ، ويهز الدنيا ، فسألنا : ما الخبر ؟ قالوا : البشارة . هذا مستودع الذخائر يتفجر ويحترق ، لقد أباده الألمان قبل هزيمتهم ، لقد انتهت الحرب ، وانتهى حكم الظالمين من أحفاد جنكيز خان ! ... وبعد ساعة واحدة يصل الشريف

وكان إسخيلوس يعلي من شأن الديمقراطية ويجعلها الهواء الذي ينبغي أن تستنشقه الإنسانية لتنمو وتترعرع ويطيب غراسها وستمر بنا الأمثال الكثيرة التي يُكبر بها شأن الحرية حين نعرض لدراماته . ولا غرو فقد كان جندياً وكان أديباً ، وكان يحض قومه على التفكير الحر بل التفكير المطلق . فهو من غير شك أول من مهد بأدبه لسيادة أثينا ، وسيطرتها على جميع هيلاس بعد أن كانت ولاية أيونيوية لا شأن لها . وبالتالي فهو صاحب الفضل على الأدب وعلى المدنية مثل انبثاقهما في القرن الخامس قبل الميلاد .

دريني خشبة

قلنا : من الشريف ؟ قالوا : فيصل بن الحسين ، هيا هبّوا لاستقباله ، فنهضنا ولكنا لم نبادر إلى استقباله ، وإنما بادرنا إلى الجيش المنهزم نذبحه ! فلما فرغنا منه مسحنا أيدينا من دمه وعدنا نستقبل الشريف ...

نسيت دمشق جوعها وتعبها ، ونسيت نصف رجالها الذين ماتوا على شاطئ غاليبولى وعلى ضفاف الترعة فى سبيل مصالح الألمان ، ونسيت أحزانها على من عانقتهم حبال المشانق فى ساحة المرجة فى دمشق والبرج فى بيروت ، وتكلفت دمشق الابتسام بل لقد ابتسمت حقيقة لما رأت وجه فيصل ، وذهبت تبتغى أن تنثر على موكبه من أزهار الغوطة جنة الدنيا ، فلم تجد فى الغوطة زهرة واحدة ، لقد صيرتها الحرب قاعاً صفصفاً ، فنثرت على موكبه أزهار القلوب : دموع الفرح ، وهتاف المحبة وتصفيق الإعجاب وحيّت لأول مرة العلم العربى الذى يرفرف اليوم فوق بغداد

وأحبت دمشق فيصلاً أصدق الحب ، كما أحبها فيصل ، ووثبت ترقص من الطرب وتغنى حتى كأن كل يوم من حكمه عيد وفى كل بقعة من الشام عرس ، وفاض الخير وابتسم الزمان ، وطفت الحماسة على الأفئدة ، وعمّ البشر الوجوه ، وولدت دمشق الأموية عاصمة الأرض مرة ثانية ... وظننت أنك استرحت يا بلدى الحبيب !

***

ولكنا لم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوت النذير ... ماذا ؟ ماذا هناك ؟ فقال : أنهضوا دافعوا عن استقلالكم الوليد ، لقد جاءت القوة العاتية تخنقه فى مهده . . فجن جنون دمشق ، وعصفت النخوة فى رؤوس بنيها ، فلم يسمعوا قول فيصل الحكيم ولا أقوال العقلاء من صحابته ، ولم تمض العشية وينبثق الفجر حتى كانت دمشق كلها فى بقعة الشرف فى (ميسلون) ولم يؤذن الظهر حتى رجعت دمشق من ميسلون وقد تركت فيها استقلالها الوليد وقائدها الشاب صريعين مجندلين على وجه الثرى ، هذا قتيل شهيد ، وذاك جريح مريض ، وفقدت دمشق كل شيء ، ولكنها لم تفقد الشرف ، كما قال من قبل فرانسوا الأول ملك الأقوياء ... الذين دخلوا دمشق دخول المنتصرين الفاتحين ...

وعاد (بلدى الحبيب) إلى حياة الرعب والأسى والنضال ...

***

ولكنه لم يخف ولم يجبن . لقد خسر فى (ميسلون) ولكنه حفظ الدرس الذى ألقته عليه الحياة فى ذلك اليوم ، واستراحت دمشق حيناً ، ثم قفزت قفزة اللبؤة الغضبى ، فإذا هى فى العرين (فى الغوطة الخضراء) ، وإذا الأقوياء بجيشهم كله وعتادهم يقفون أمام الثائرين ، وهم بضع مئات يقودهم رجل أمى من دمشق كان خفيراً من خفراء الأحياء ، فلا يستطيع الأقوياء الظفر بهم ، فيعودون حنقين ، فيسلطون نيران مدافعهم على المدينة الآمنة المطمئنة ، فلا يروعها إلا جهنم قد فتحت أبوابها من فوقها ، فيخرج أهلها من منازلهم تاركين كل ما فيها للنار ، ويمسى المساء على دمشق وثلثها خرائب كخرائب بابل ، وقد كانت فى الصباح أجمل وأبهى وأغنى قصور دمشق ...

وتعيش دمشق سنتين وسط الرعب والنار والحديد ، ثم يحل السلام ، وتخرج دمشق من المعركة وقد نجحت فى الامتحان الثانوى فى الغوطة ، كما نجحت من قبل فى الامتحان الابتدائى فى ميسلون . .

وأحسب أنك استرحت يا (بلدى الحبيب) !

***

أحسب أنك استرحت ، فإذا النار تسرى فى أحشائك ، وإذا المعارك فى أسواق دمشق ... حول صناديق الانتخاب ، الذى أراده الأقوياء صورياً شكلياً ، وأباه الشعب إلا انتخاباً حقيقياً ، فلما لم يكن ما يريد الشعب حطم الصناديق ، وهدم قاعات الانتخاب وانطلق ثائراً مرعداً مبرقاً ، يهزأ بالحديد ويفتح صدره للبارود .. وظفر الشعب ، وكيف لا يظفر وقد امتحن مرتين ...

فقلنا : قد استراح ولكنه لم يسترح وإنما دعى إلى الامتحان العالى ، إلى النضال الصامت المرعب ، فثبت وناضل ، ولبثت دمشق خمسين يوماً كاملة ، وهى مضربة ليس فيها حانوت خباز أو بقال ، وليس فيها قهوة مفتوحة ، ووقعت المعارك فى الأسواق وعلى أبواب المسجد الأموى ، فأقبل النساء بصدورهن على الرصاص ، وهجم الأطفال على الدبابات ، وعزمت دمشق عزماً ثابتاً على الموت أو الظفر ، وعرف العدو أنها لن تُفل عزيمتها أبداً ، ولن تلين قناتها ، فلانت قناته ، ودعاها إلى الصلح أو التحالف ...

وهتفنا هذه المرة من أعماق القلوب : لقد استراحت (بلادنا العزيزة) . وعادت أيام فيصل مرة ثانية ، ودقت طبول البشائر

وأديرت كؤوس الفرح ، ورجعت الأعراس ...

ولكن الأعراس لم تتم ... لم تتم يازمان الشؤم !

هذا صوت النذير العريان ، وهذه ألسن النيران ، وهذا صوت البركان ، فماذا يحمل إلينا الغد يا زمان ، أى مصيبة جديدة يأتينا بها ؟ أكتب علينا ألا نستريح ولا نهدأ أبداً ؟

لا بأس يازمن الشؤم ، إننا نرحب بالمصائب فسقها إلينا ، إننا بنو المجد والحرية والحياة ، فلاأمتعنا الله بالحياة إن لم ننتزعها من بين فكي الموت انتزاعاً ...

وستحيا أنت يا (بلدى الحبيب) ماجداً حراً ولو متنا نحن ماجدين أحراراً !

« بغداد » علي الطنطاوي

باقة من الفلسفة الإسلامية

لماذا يجب ألا نخشى الموت؟

« مهداة إلى معالى الأستاذ الجليل وزير الأوقاف »

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ما الموت إلا تمام حد الانسان لأنه حى ناطق ميت ، فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى »

« عن الفيلسوف مسكويه »

كثيراً ما ادعى المتعصبون للفكر اليونانى أن الشرقيين لم يحذقوا التدليل النظرى المحكم كما حذقه اليونان ، وأن الفلسفة الإسلامية لا تكاد تخرج فى مجموعها عن آراء أفلاطون وأرسطو بحيث أن كل ما هناك من فرق بينهما لا يستطيع أن يشهد للاسلاميين بالخلق المجيد والإبداع الطريف ! ومهما تكن أسباب هذا الادعاء من جهل وتعصب ، فأظن أنه ليس أنجح فى دحضه من نشر آيات الفلسفة الإسلامية والتعليق على ما فيها من أوجه الطرافة والإبداع

لذلك أقدم للقراء اليوم باقة من باقات الفيلسوف « مسكويه » الذى حدثتهم عنه فى العام الماضى[1] . وأزعم أن هذه الباقة من أقوى وأجل وأدق آيات الفلسفة الإسلامية تدليلاً وإبداعاً ؛ وأنها لا تقل فى موضوعها عن كتابات الفلاسفة اليونانيين شمولاً واتساقاً وجمالاً وتحليلاً !

وموضوع هذه الباقة هو : « دفع الغم من الموت ! » أو لماذا يجب ألا نخشى الموت . وأحسب أنك تقدر تماماً خطورة هذا الموضوع ! بل أحسب أنك لا ترى فى الحياة ما هو جدير حقاً بالخوف منه ، والرعب غير الموت : ذلك البلاء الداهم الذى يلبسنا ثوب الحداد ويمزق منا الصدور ويقطع نياط القلوب ! ذلك الذى يصبغ الكثير من أيامنا بالسواد ويطلق أصوات الأمهات والزوجات والأطفال بالصياح والعويل والشكوى المريرة والأنين المبحوح ! أجل أحسب أنك تقدر ذلك كله ! وتعرف أن اطمئنان القلب للعقائد الدينية يحتاج فى الكثير من الأحيان إلى برهان العقل كيما يزداد ثباتاً ورسوخاً ؛ ولذلك كان من أهم الأبواب فى الفلسفة الإسلامية باب التدليل على صحة مافى الدين من أقوال وقضايا ووعود ؛ وكان موضوع « الموت » من أهم القضايا التى تناولها ذلك الباب.

ويعرض مسكويه لهذه المسألة فى المقالة السابعة من كتابه الخالد « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » . وهى مقالة « رد الصحة على النفس ومعالجة أمراضها » وكان قد وضع فى المقالات السابقة دستوره الخلق الإيجابى الذى أثبت فيه روحانية النفس البشرية وخلودها ، وحدد الفضائل وأضدادها ، وبين السعادة ودرجاتها و كيفية الحصول عليها ووسائل حفظ الصحة على النفس السليمة : فرأى أن يختم الموضوع بمعالجة النفس المريضة ودفع أهم ما تتعرض له فى حياتها من مخاوف وأحزان

لذلك تراه يقول بعد فراغه من معالجة « الخوف » وأسبابه :

« فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ، ولما كان أعظم ما يلحق الإنسان منه هو خوف الموت ، وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف ، وجب أن نبدأ بالكلام فيه فنقول :

« إن الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن لا يدرى ما الموت على الحقيقة ، أو لا يعرف إلى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور ، وأن العالم سيبقى موجوداً وليس هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد ، أو لأنه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى ربما تقدمته وأدت إليه وكانت سبب حلوله ، أو لأنه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت ،

(1) وهو فارسى الأصل ، خدم الدولة البويهية ومات عام ٤٢٠ هـ

أو لأنه متحير لا يدرى على أى شىء يقدم بعد الموت ، أو لأنه يأسف على ما يخلفه من المال والقنيات[1]؛ وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها .

« أما من جهل الموت ولم يدر ما هو على الحقيقة فإنا نبين له أن الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الأعضاء التى يسمى مجموعها بدناً كما يترك الصانع استعمال آلاته[2] وأن النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضاً ، وأنها غير قابلة للفساد[3] ، ... فإذا فارق — (هذا الجوهر) — البدن كما قلنا ، وعلى الشريطة التى شرطنا[4] ، بقى البقاء الذى يخصه ، ونقى من كدر الطبيعة ، وسعد السعادة التامة ، ولا سبيل إلى فنائه وعدمه ، فإن الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ، ولا تبطل ذاته ، وإنما تبطل الأعراض والنسب والإضافات التى بينه وبين الأجسام بأضدادها . فأما الجوهر فلا ضد له . وكل شىء يفسد فإنما فساده من ضده ... وإن أنت تأملت الجوهر الجسمانى الذى هو أحسن من ذلك الجوهر الكريم ، واستقريت حاله ، وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر ، وإنما يستحيل بعضه إلى بعض[5] ، ... هذا فى الجوهر الجسمانى القابل للاستحالة والتغيير ، فأما الجوهر الروحانى الذى لا يقبل الاستحالة ولا التغير فى ذاته ... فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى ؟؟

« وأما من يخاف الموت لأنه لا يعلم إلى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه ، وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد ، فليس يخاف الموت على الحقيقة وإنما يجهل ما ينبغى أن يعلمه ، فالجهل إذاً هو المخوف ، إذ هو سبب الخوف ، وهذا الجهل هو الذى حمل الحكماء على طلب العلم والتعب به ... فاستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية ... واقتصروا منها على المقدار الضرورى فى الحياة وتسلوا عن فضول العيش[1] ... » ... على أن من خاف الموت الطبيعى للانسان فقد خاف ما ينبغى أن يرجوه ، وذلك أن هذا الموت هو تمام حد الإنسان لأنه حى ناطق ميت ، فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى ، ومن علم أن كل شىء هو مركب من حده ، وحده مركب من جنسه وفصوله ، وأن جنس الإنسان هو الحى ، وفصلاه الناطق والمائت ، علم أنه سينحل إلى جنسه وفصوله لأن كل مركب لا محالة منحل إلى ما تركب منه ، فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ، ومن أسوأ حالاً ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه ؟ . وذلك أن الناقص إذا خاف أن يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل ، فإذاً الواجب على العاقل أن يستوحش من النقصان ، ويأنس بالتمام ، ويطلب كل ما يتممه ويكمله ، ويشرفه ، ويعلى منزلته ، ويحلى رباطه من الوجه الذى يأمن به الوقوع فى الأسر ، لا من الوجه الذى يشد وثاقه ويزيده تركيباً وتعقيداً[2] . . .

« وأما من ظن أن للموت ألماً عظيماً غير ألم الأمراض التى ربما اتفق أن تتقدم الموت وتؤدى إليه ، فعلاجه أن نبين له أن هذا ظن كاذب لأن الألم إنما يكون للحى والحى هو القابل لأثر النفس ، وأما الجسم الذى ليس فيه أثر النفس فإنه لا يألم ولا يحس ...

وأما من خاف الموت لأجل العقاب الذى يوعد به فينبغى أن نبين له أنه ليس يخاف الموت بل يخاف العقاب ، والعقاب إنما يكون على شىء باق بعد البدن العاثر . . . فهو إذاً خائف من ذنوبه لا من الموت ، ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه أن يحذر ذلك الذنب ...

وأما من زعم أنه ليس يخاف الموت وإنما يحزن على ما يخلف من أهله وولده وماله ونشبه ، ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها ، فينبغى أن نبين له أن الحزن تعجل ألم ومكروه على مالا يجدى الحزن إليه بطائل ، وسنذكر علاج الحزن فى باب

---

(١) نحسب هذا الاحصاء لأسباب الخوف من الموت شبه جامع .

(٢) هذا الرأى فى أن أعضاء الجسد ليست غير آلات للنفس من أقوى الآراء فى مذهب الروحانية .

(٣) برهن مسكويه على روحانية النفس فى المقالة الأولى من كتابه وفى كتابه الآخر « الفوز الأصغر » . ومن أهم براهينه على ذلك أن النفس تقبل صوراً كثيرة فى وقت واحد بينما الجسد لا يقبل فى المكان الواحد إلا صورة واحدة فاذا أردنا إحلال صورة أخرى محلها محونا الأولى تماما بعكس الحال فى صورة النفس .

(٤) يقصد شريطة الفضيلة والعلم لأن السعادة عنده لاتنال فى الدنيا والآخرة إلا بهما .

(٥) وهذا أحدث آراء الكيمياء فى أن المادة لا تفنى .

(١) الجهل إذا هو سبب الخوف فيجب أن تتخلص منه بالعلم . وقد بين مسكويه فى كتبه روحانية النفس وعدم خضوعها لما يصاب به الجسم بعد الموت . وهاهم أولاء علماء الروحانية فى العصر الحاضر يحاولون جادين أن يصلوا إلى حقيقة الروح .

(٢) يقصد أن الحياة أسر وتعقيد لاتصال الروح فيها بأوضار الجسد وكان يرى أن السعيد بعد الموت هو من يعود إلى جوار الله تعالى ويخالط الأرواح الطيبة من أشكاله وأشباهه بينما الشقى هو من تكون نفسه مشتاقة أبدا إلى جسده فلا تستطيع بعد الموت أن تسمو فى صعودها وتجردها إلى مقام النفوس السعيدة وتبقى أبدا شقية على حافة العالم المادى (أنظر الفوز الأصغر)

مفرد له خاص(١) لأنا فى هذا الباب إنما نذكر علاج الخوف ، وقد أتينا منه على ما فيه مقنع وكفاية ، إلا أنّا نزيده بيانا ووضوحا فنقول :

«إن الإنسان من جملة الأمور الكائنة ، وقد تبين فى الآراء الفلسفية أن كل كائن فاسد لا محالة ، فمن أحب ألا يفسد فقد أحب ألا يكون ، ومن أحب ألا يكون فقد أحب فساد ذاته ، فكأنه يحب أن يفسد ، ويحب ألا يفسد ، ويحب أن يكون ، ويحب ألا يكون ، وهذا محال لا يخطر ببال عاقل ، وأيضاً فإنه لو لم يمت أسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود إلينا ، ولوجاز أن يبقى الإنسان لبقى من تقدمنا ، ولو بقى من تقدمنا من الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الأرض ... قياما فكيف قعودا أو متصرفين ؟ ...

«فقد ظهر ظهورا حسيا أن الموت ليس برديء كما يظنه جمهور الناس وإنما الرديء هو الخوف منه ، وأن الذى يخاف منه هو الجاهل به وبذاته ... وأما جوهر النفس الذى هو ذات الإنسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم ... وإنما (يستفيد) بالحواس والأجسام كمالا(٢) فإذا كمل بها ثم خلص منها صار إلى عالمه الشريف القريب إلى بارئه »(٣)

* * *

وبعد فهذا تدليل مسكويه على وجود عدم الخوف من الموت بناه فى مجموعه على روحانيــة النفس وأقامه على المنطق المستقيم والذوق السليم ، فهلا ترى معى أنه أبدع فى الكثير من حججه إبداعاً جديراً بالتقدير ؟ الحق أننا ندعو ملحين إلى قراءة كتابه « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » ، وإلى المقارنة بينه وبين كتب أرسطو وأفلاطون فى الأخلاق لأنا نعتقد أنه يفوقهم فى الكثير من فصوله قوة ومنطقاً واتساقاً وانسجاماً . وأنه يقترب فى بعض أفكاره من الآراء الفرنسية التى ظهرت أخيراً وعالجت نواحى علم الأخلاق .

محمد حسنى ظاظا

(١) ونرجو أن نعود إلى تحليل طرافة هذا الباب فى فرصة أخرى .
(٢) ويتأتى ذلك من « الجهاد الأكبر » جهاد الجسد وشهواته .
(٣) وقد نسب البعض هــذه المقالة إلى ابن سينا . ولكنا نرجح أنها لمسكويه ولدينا أسباب ذلك الترجيح

مصرع خبيب

للأستاذ ناجى الطنطاوى



سار الرجال صامتين ، يخبون بأقدامهم على رمال الصحراء الملتهبة ، لا يثنيهم عن غايتهم شىء ، ولا يشغلهم عن مرماهم أمر ، وكان عددهم عشرة يرأسهم فتى غض الإهاب ، ذو عزم ومُنة ، هو عاصم ابن ثابت ، أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم عيناً على الأعداء فى بعث الرجيع(١) ، يستطلعون أخبار العدوّ ويتعرفون إلى عدده وعدّته ... كانوا يسيرون مطمئنين آمنين لا يداخل نفوسهم حذر ولا ريب ، وماذا يحذرون وهم فى هــذه الصحراء المترامية الأطراف ، نفر قليل لا يتميزون عن سواهم من العرب وليست تبدو عليهم أيه شارة تبعث الشك فى نفوس من يراهم ؛ كانت نفوسهم تفيض ثقة بالله وكانت قلوبهم عامرة بالإيمان الثابت الذى لا تزعزعه العواصف ولا توهنه النكبات ، وكانوا قد وطّدوا العزم على القيام بما عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما لاقوا فى طريقهم من المصاعب والأخطار ، لا يثنيهم عنه إلا الموت

ولما مرّوا فى طريقهم بمكان يقال له الهدأة(٢) جاء رجل من

(١) فى أواخر السنة الثالثة للهجرة . والرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان
(٢) موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان ، قريب من الرجيع مكان الوقعة

قريش إلى بنى لحيـان[1] وأخبرهم أنه رأى نفراً من المسلمين يجتازون بهم ولا يدرى أين يريدون ، فلم يكد القوم يسمعون كلامه حتى داخلهم الشك فى أمر هؤلاء ، وتبادلوا النظرات ، وصمتوا يفكرون ، ثم ثاروا إلى نبـالهم فاحتملوها وساروا يقتفون آثار المسلمين ويجدّون فى طلبهم . وكانوا مائة رجل نصفهم رماة

أحس أصحاب عاصم بالخطر الداهم الذى يهددهم ، ورأوا أنهم قد أخذوا على غرة ، فاضطربوا ووجموا وعراهم الذهول ، ولكن عاصماً صاح بهم قائلاً :

— لا تقفوا هكذا ، أسرعوا إلى هذا الفدفد[2] الذى أمامكم تمتنع به قبل أن نصبح فريسة فى أيدى الأعداء ...

فأسرعوا إليه كما أمرهم ، وتحصنوا فيه ، ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم ...

وبأسرع من لمح البصر ، كان الرماة ومن معهم محيطين بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ينظرون إليهم نظر الذئب إلى فريسته التى يخاف أن تفر من بين يديه ، ووطد المسلمون العزم على استقبال الموت بثغور باسمة وقلوب مطمئنة وهم يتحرقون شوقاً إلى رؤية الجنة وما أعد الله لهم فيها من نعيم مقيم وسعادة خالدة

— إنزلوا واعطوا بأيديكم ، ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً ...

سمع المسلمون هذا البلاغ ، فوقفوا واجمين للمرة الثانية ، وفكروا فى هذا الذى قاله المشركون ، أهو قول صدق وشرف ، أم هو مَيْن وخديعة ؟ ومتى كان المشركون يصدقون فى أقوالهم ويوفون بعهودهم ؟ وهل يجدر بالمسلم أن يركن إلى مثل هذا الوعد ؟

أسئلة متوالية ، جالت فى خواطر المسلمين فى تلك اللحظة الرهيبة الحاسمة ، ولبثت تطلب جواباً ، وفكروا قليلاً ثم اتجهوا بأبصارهم إلى رئيسهم ليسمعوا جوابه ، وليعرفوا موقفه ، فما لبث أن خاطبهم بقوله :

— أما أنا ، والله لا أنزل فى ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك

وانتظر المشركون قليلاً ، ليعلموا أثر كلامهم فى نفوس المسلمين وليسمعوا جوابهم ، ولم يطل بهم الانتظار ، إذ وجهوا نبالهم إلى صدور المسلمين وأطلقوها فأصابت عاصماً وسبعة من أصحابه سقطوا شهداء فى سبيل الله ، وطارت أرواحهم الطاهرة لترفرف فى سماء الخلود ، وتحظى بنعيم الله الأبدى ، وبقى منهم ثلاثة لم يكتب لهم أن ينالوا ما نال إخوانهم من شرف الشهادة ، فأرادوا أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل تجربة أحبوا أن يقوموا بها ، وفى سبيل درس رغبوا أن يستفيد منه المسلمون بعدهم ؟ تُرى هل يفى المشركون بتعهدهم ويصدقون وعدهم ؟ ما دمنا على أبواب الآخرة فلنقم بهذه التجربة ، ونزلوا فسلموا أنفسهم على العهد والميثاق ، ولم يكد المشركون يستمكنون منهم ويعلمون أنهم صاروا فى قبضتهم حتى أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فصاح أحد المسلمين :

— هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لى أسوة بأصحابى الذين قتلوا

وأبى أن يسير معهم فقتلوه ، وساقوا الاثنين الباقيين ، وكان أحدهما يدعى خبيب بن عدى ، صمم على أن يتم التجربة التى بدأ بها مهما كلفه ذلك من المتاعب ليرى نتيجتها ، وليختم الدرس الذى أحب أن يستفيد منه المسلمون

***

— من هذا الذى أراه عندك يا ماوية[1]

— هذا أسير لدىّ . ألا ترين القيد فى رجليه ؟

— ما اسمه ؟

— إنه يدعى خبيب بن عدى الأنصارى

— وماذا جاء به إلى دارك ؟

— أغار قومى على نفر من المسلمين فقتلوهم وأسروه وابتاعه بنو الحارث بن عامر[2] ، إذ يقال إنه هو الذى قتل الحارث يوم

(١) حى من هذيل

(٢) الفدفد هو الرابية المشرفة

(١) هى ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب ، أسلمت فيا بعد

(٢) وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن أبى إهاب

بدر ، وأبقوه عندى حتى تنقضى الأشهر الحرم ليقتلوه

— وكيف رأيت سيرته ومعاملته ؟

— أشهد أنه لمن أفضل الناس وأشرفهم ما عهدت فيه الكذب ولا الفحش فى القول ، وما رأيت منه إلا اللطف والدعة والمعاملة الحسنة ، ما دخلت عليه فى ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته يقوم ويقعد ويخر ساجداً ، فسألته عن ذلك فأجابنى : أنه يعبد الله ويصلى له ، وهو يرتل كل ليلة كلاماً جميلاً يسميه القرآن بصوت عذب فتننى وفتن كل النساء اللائى سمعنه وإنهن ليجتمعن عندى فى كثير من الأحيان فيسمعن صوته فيبكين وترق له قلوبهن ، وإنى لأقول له : هل لك من حاجة ؟ فيجيبنى قائلاً : لا ، إلا أن تسقينى الماء العذب ، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب وتخبرينى إذا أرادوا قتلى

— أهو كثير الجزع من الموت ياماوية ؟

— كثير الجزع ؟ إنى لم أره ذكر الموت إلا ابتسم وطرب ، ولقد عجبت من حاله هـذه فسألته عنها فقال : أولا يسر ويطفر طرباً وسروراً من ينتقل من دار شقاء إلى دار نعيم وهناء ؟ إنى إذا مت انتقلت إلى جنة عرضها السموات والأرض فلم لا أبتسم وأسر

فحدقت المرأة فى وجه مضيفتها وقالت متعجبة :

— عجيب أمر هذا الرجل ، إننى لا أعرف رجلاً آخر بهذه الشمائل والصفات إلا أن يكون من أصحاب محمد

فاقتربت ماوية منها وسارتها قائلة :

— إننى أقسم لك أننى رأيته أمس بعينىَّ هاتين يأكل قطفاً من عنب وهو موثق فى الحديد ولا يدخل عليه أحد غيرى وما أراك مصدقتى فيما أقول

فضحكت المرأة وقالت :

كيف تريدين منى أن أصدقك يا ماوية وليس هذا أوان العنب وما فى مكة كلها من ثمره شىء ؟

— هذا ما أعجب له ، وأقسم أننى غير واهمة ولا متخيلة ، وما أدرى تفسير ذلك

ونهضت ماوية فحملت ما عندها من طعام ، ودخلت به على السجين ، ووضعته بين يديه ، وانتظرت حتى أتمّ صلاته ، فالتفت إليها وابتسم ، وتناول الطعام من يدها دون أن يفوه بكلمة

ولم يرق لماوية صمته فقالت له :

— هل لك من حاجة ؟

فقال : لا ، إلا أن تسقينى الماء العذب ، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب ، وتخبرينى إذا أرادوا قتلى

ولما علمت أن جوابه لن يتبدل ، طأطأته وتركته

* * *

— يا لهول ! ماذا ترى عيناى ؟ أهـذا جزاء إكرامى لك وثقتى بك ؟

— خفضى عليك يا ماوية ، إننى لا أزال عند حسن ظنك بى

— أتقول هذا ، وابنى فى حضنك والموسى فى يدك ؟ ليتنى لم أعرك هذا الموسى

فابتسم الأسير وأجابها قائلاً :

— لا تفضبى هكذا يا ماوية ، إننى لم أطلب منك إعارتى هذا الموسى لأقتل به ابنك ، معاذ الله أن أفكر فى هذا العمل الشائن ، إن دينى يمنعنى من ذلك يا ماوية ، وما كنت لأفعل ذلك ما حييت ؛ ولـكن ابنك حبا حتى وصل إلىّ ، وجلس على ركبتى ، وكان الموسى فى يدى ، فلاطفته وداعبته ، ولم يخطر لى أن أمسه بأذى ، ولعلك ذكرت واقعة الأمس فجزعت ...

— أجل يا خبيب ، ذكرت مزاحك بالأمس عندما طلبتَ منى أن أعيرك الموسى ، وقلت لى عندما صار فى قبضة يدك : قد أمكن الله منك ... أتدرى أنك أخفتنى بهذا المزاح ؟

— إنك لم تعرفينى بعد، ولا أراك تعرفيننى إلا يوم تُسلمين ، فتنجلى لك إذ ذاك حقيقة المسلم . والآن دعينى وشأنى ، إننى أريد أن أستعدّ للموت ، ألم تقولى لى إنهم أزمعوا قتلى اليوم ؟

— بلى

ولم تمض ساعة حتى أقبل القوم يهرولون ، حاملين حرابهم ونبالهم ، وهم مستبشرون فرحون ، ولما دخلوا على خبيب فكوا القيد من رجليه وقالوا له :

— هلم يا خبيب ، استعد للموت ، إنه ليزعجنا أن تبقى حياً إلى اليوم ، ولولا الأشهر الحُرُم لقتلناك يوم أسرك

فرفع خبيب رأسه ، ونظر إليهم طويلاً ، وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه ، ثم أطرق ولم يُجب

ولما خرجوا به إلى ساحة الاعدام وأجمعوا على قتله التفت إليهم قائلاً :

— هل تأذنون لى أن أركع ركعتين قبل أن أموت ؟

فنظر بعضهم إلى بعض فى دهشة وعجب وقالوا : أتصلى وأنت على هذه الحال ؟ ألا ترى الخشبة التى سنصلبك عليها ؟ ألا ترى رماحنا ونبالنا مصلتة عليك ؟ ألا تبكى وتطلب الصفح والعفو ؟ إفعل ما شئت .

فقام خبيب بين يدى الله ، متوجهاً بقلبه وجوارحه إليه وصلى صلاة كلها اطمئنان وكلها خشوع ، لم يضطرب قلبه ، ولم يتلجلج لسانه ، ولم يتبدل لون وجهه ، وكان فى صلاته هادئاً ساكناً آمناً

ولما انتهى التفت إليهم وقال بصوت هادئ عذب :

— والله لولا أن تحسبوا أن مابى جزع لزدت . اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو كربتى بعد غربتى ... وما جمع الأحزاب لى حول مصرعى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه ... وقد ذرفت عيناى من غير مجزع
وما بى حذار الموت إنى لميت ... ولكن حذارى جحم نار ملفع
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع
فلست بمبد للعدو تخشعاً ... ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى
ولست أبالى حين أقتل مسلماً ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

ولم يكد يتم الأبيات ويستغفر الله ويذكره حتى رفعوه على الخشبة وأوثقوه بها فقال :

— اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُفعل بنا

وبدأ المشركون يرمونه بنبالهم ويطعنونه برماحهم ، فلما بضع لحمه وسال دمه قالوا له :

— أتحب أن محمداً مكانك ؟

فأجابهم وهو يغالب نفسه من الألم :

— والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمداً صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة .

الله أكبر ، هكذا فليكن الإيمان ، وهكذا فليكن حب محمد صلى الله عليه وسلم ، أما والله لو لم يكن لخبيب إلا هذا الموقف لكفاه شرفاً ونخراً وخلوداً ، وإن رجلاً فى مثل هذا الموقف وعلى مثل هذه الحال ، بين الحياة والموت ، يجيب بمثل هذا الجواب لهو مسلم بكل ما فى كلمة الإسلام من معنى ، وبأمثال خبيب هزم المسلمون — على قلتهم — جيوش الشرك والطغيان والظلم وفتحوا ثلاثة أرباع العالم ، وبنوا حضارة ونشروا ديناً سيبقى لواؤه مرفوعاً فى مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة

« دمشق » **ناجى الطنطاوى**

على قبر زوجها

للأستاذ محمود الخفيف

صَلَّتْ لدَى أحْجَارِهِ خَاشِعَهْ ... يا قُدْسَ هَذِى الصَّلاَهْ
اللهَ لِلزَّائِرَةِ الجَازِعَهْ ... كَمْ هَدْهَدَتْهَا يَدَاهْ
تَطُوفُ فِي نَظْرَتِهَا الضَّارِعَهْ ... بِنَفْسِهَا كُلُّ طُيُوفِ الحَيَاهْ
والصَّمْتُ فى وَقْفَتِهَا الرَّائِعَهْ ... يا عَيْنُ لاَ يَبْلُغُ نُطْقٌ مَدَاهْ!

كَمْ يَسْحَرُ الأنْفُسَ هَذَا الجَمالْ ... بَيْنَ الضَّنَى وَالحَزَنْ
كَأَنَّمَا تُبْرِزُ تِلْكَ الظِّلاَلْ ... من سِرِّهِ ما كَمَنْ!
وَالمَوْتُ يُلْقِي مِن سِمَاتِ الجَلاَلْ ... ما عَلِقَ القَلْبُ بِهِ وافْتَتَنْ
مَا كَانَ إلاَّ للصِّبَي والدَّلاَلْ ... والحُبِّ وَالزِّينَةِ هذا البَدَنْ

وَاهًا لِهَذَا المُلْهَمِ القَادِرِ ... السِّحْرُ فى رِيشَتِهْ!
لَوْ طُفْتُ بالواقِعِ لا الخَاطِرِ ... ما زاد عن صُورَتِهْ
لا يَنْثَنِي عَنْ سِحْرِهَا نَاظِرِى ... إلاَّ هَفَا قَلْبِى إلى رُؤْيَتِهْ!
كَمْ تَلِدُ الأوْهَامُ للشَّاعِرِ ... فى مَسْحَةِ الفَنِّ وفى لَمْحَتِهْ

وُجُومُ هَذِى الغَادَةِ المطْرِقَهْ ... كَمْ رَفَّ قَلْبِي لَهُ
ألْمَحُ فِيهِ لَهْفَةً مُوبِقَهْ ... تَرْسِمُ لِي هَوْلَهُ
فِي شَفَتَيْهَا لَوْعَةٌ مُحْرِقَهْ ... من فَادِحٍ ما جَزِعَتْ قَبْلَهُ
مُمْسِكَةٌ إيَّاهُمَا مُطْبِقَهْ ... فِي مَوْقِفٍ مَا إنْ رَأَتْ مِثْلَهُ

يَا رَحْمَتَا لِلزَّوْجَةِ الثَّاكِلِ ... تَأْسَى عَلَى إلْفِهَا
ذِكْرَاهَا عَيْشَ الهَوَى الزَّائِلِ ... يَزِيدُ فى لَهْفِهَا
والوَجْدُ فِي هَيْكَلِهَا النَّاحِلِ ... تَحْمِلُهُ ضَعْفاً عَلَى ضَعْفِهَا
كَمْ عِنْدَ هذا الأثَرِ المائِلِ ... تَبْتَعِثُ الوَحْشَةُ مِن خَوْفِهَا

إلاَّ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى قَبْرِهِ ... فَقَلْبُهَا دَامِعُ
كَمْ حَاوَلَ الدَّمْعَ فَلَمْ يُجْرِهِ ... مِنْ فَرْطِهِ جَازِعُ
ما يُشْبِهُ الصَّبْرَ عَلَى ثَغْرِهِ ... والهمُّ فى أحْشَائِهِ لاذِعُ!
لَوْ بَاحَ بالمَكْنُونِ مِن سِرِّهِ ... ما مَلَكَ الدَّمْعَ لَهُ سَامِعُ



قَدْ خَتَمَ المَوْتُ عَلَى حُبِّهِ ... فَمَا لَهُ مِنْ فَنَاءْ
يَا وَجْهَهَا ما إن تَبَدَّتْ بهِ ... إلاَّ مَعَانِي الوَفَاءْ
يَا صِدْقَ هذا الحُبِّ فى هُدْبِهِ ... يَا رَوْعَةَ الوَجْدِ بِهِ والوَلاَءْ!
أحْسِبُ هذا القَلْبَ فِي وَثْبِهِ ... يَخْفِقُ لاَ فِي الأرْضِ بَلْ فى السَّمَاءْ

عَزَاؤُهَا فِي الارْضِ هذا الأثَرْ ... تَسْعَى له زَائِرَهْ
يَا حُفْرَةً مِنْ تَحْتِ هَذَا الحَجَرْ ... طَافَتْ بِهَا نَاظِرَهْ
يَا وَطَرًا مَا مِثْلُهُ مِنْ وَطَرْ ... تَحْيَا عَلَيْهِ الزَّوْجَةُ الذَّاكِرَهْ
أنَّى لَهَا مِنْ دُونِهِ مُصْطَبَرْ ... فى عِيشَةٍ بَاتَتْ بِهَا سَادِرَهْ؟

ذِكْرَانُهَا أَنَّ بِهَذَا التُّرابْ حُطَامَ أَوْصَالِهِ
كَمْ تَصِلُ القَلْبَ بِهَذَا اليَبَابْ وَصُمٌّ أَطْلَالِهِ
يُطْفِئُ هَذَا الذِّكْرُ بَرْحَ العَذَابْ فى قَلْبِهَا المُسْتَسْلِمِ الوالِهِ
مَنْ فَاتَهُ فِي العَيْشِ عَذْبُ الشَّرابْ يَعِيشُ بالوَهْمِ عَلَى آلِهِ

أَنَّى لها مِنْ دُونِهِ مَوْئِلُ يَوْمًا بِهَذِى الدُّنَى
ما إن لها سُؤْلٌ ولا مَأْمَلُ بَعْدَ ذُبُولِ المُنى
هَيْهَاتَ يَفْنَى حُبُّهَا الأَوَّلُ أَىُّ هَوًى يَنْسَخُ هذا السَّنا ؟
مَا حَمَلَ القَلْبُ وما يَحْمِلُ يَرْسِمُهُ لِلعَيْنِ هذا الضَّنَى

يا قِطْعَةً مِنْهُ بهذا الوُجُودْ هَلْ دُونَهُ مِنْ أَمَلْ ؟
تَرِفُّ فى مرآه بِيضُ العُهودْ وما انطَوَي مِنْ جَذَلْ
يا لَمْحَةَ المَاضِي ورَمْزَ الخلودْ والمُرْتَجَى فى عَيْشِهِ المُقْتَبَلْ
بأَىِّ سُؤْلٍ أُمُّهُ لاَ تَجودْ أَىُّ عَنَاءٍ فِيهِ لا يُحْتَمَلْ ؟

يا لاَعِبًا بِالزَّهْرِ فِي يَوْمِهِ لم يَدْرِ غَيْرَ الزَّهَرْ
لَمْ يَدْرِ بَعْدُ الشَّوْكَ مِنْ يُتْمِهِ أَوْ يَلْقَ وَخْزَ الإِبَرْ
فى شُغُلٍ بِالزَّهْرِ عَن أُمِّهِ وعن دواعى وَجْدِهَا بالصِّغَرْ
وُقِيتَ مَا يَخْبَأُ مِنْ لُؤْمِهِ دَهْرٌ كفى مِنْ لُؤْمِهِ ما ظَهَرْ

يا حَالِمًا مَا أَيقَظَتْهُ الحَيَاهْ يا لاَهِيًا لاَ يَعِى
يَزِيدُ مَعْنَى يُتْمِهِ أَنْ أَرَاهْ فى ذَلِكَ المَوْضِعِ !
غدًا بِهَذَا القَفْرِ يَبْكِى أَبَاهْ يَسْقِى تُرَابَ القَبْرِ بِالأَدْمُعِ
وَيُوجِعُ القَلْبَ حَدِيثُ الرُّواه عَنْ ذَاهِبٍ وَلَّى وَلَمْ يَرْجِعِ

لا تَحْبِسِى الدَّمْعَ عَلَى قَبْرِهِ أَيَّتُهَا الجَازِعَهْ
عِظامُهُ تَهْفُو إلى قَطْرِهِ طوفى بِهَا دامِعَهْ
تَوَدُّ لو تَمْضِى لدي ذِكْرِهِ جُفُونُهَا طائِعَةً هَامِعَهْ
فَيَغْلِبُ الدَّمْعُ عَلَى أَمْرِهِ والنَّارُ فى مُهْجَتِها لاَذِعَهْ

الخفيف

من برج بابل

قرأت فى إحدى رسائل الأدب هذه النادرة اللطيفة : « أهدى إلى ملك الهند ثياب وحلى ، فدعا بامرأتين له وخيّر أحظاهما عنده بين اللباس والحلية . وكان وزيره حاضراً ، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة له ، فغمزها باللباس تغضيناً بعينه ، فلحظه الملك . فاختارت المحظية الحلية لئلا يفطن للغمزة . ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه ، لكى تقر تلك فى نفس الملك ، وليظن أنها عادة أو خلقة لازمة . وصارت الثياب للأخرى » . قد يلتمس العذر لذاك الوزير المسكين بخوفه من غضب الملك وبطشه وحرصه على منصبه : ولكن ماعذر من يلزم النفس طائعاً مختاراً حركات وإشارات ونبرات وانتحال صفات دخيلة على الطبع الأصيل ، فتنقلب الفتاة أو الشاب إلى قرد يقلد أو غراب يحاكى الطاووس ! إن أشد ما يخدع المرء نفسه أن يتكلف ما يشذ عن طبعه ، ويجرده من شخصيته التى تميزه من غيره . إنما يدل ذلك على احتقار المرء نفسه واعتبارها من التفاهة بحيث تلغى وجودها وتستعير غيرها . وما عرف زمن كهذا العصر الميكانيكى الذى كثر من يخرجون فيه على غرار واحد كما تخرج الآلة صنوف الألوان والأنماط من متشابه المنتجات. ولعل مرجع هذه الظاهرة « الآلة السينمائية » أيضاً ! فإن ما يزينه المرحون والدعاة للمتهافتات والمتهافتين أغرى فتياتنا وشبابنا بمحاكاة ما يصدر عن هذه الشخوص من حركة ترى أو لهجة تسمع . ولقد أصبح المثل الأعلى اليوم للفتاة والفتى بطلاً موهوماً أو نجمة لا سماء لها . وأضحى الجميع على إلمام دقيق بحياة الممثلات والممثلين مما لم يظفر به درس بطل من أبطال التاريخ ورجال الإنسانية . إن هذه الفطرة السليمة البسيطة التى تتجلى فى حركات أخواتنا الريفيات لما يحملنا على الميل إليهن والإعجاب بخلالهن الكريمة النقية . فكما تزهو فى ربوعهن الناضرة الوردة والوردة ، وشتان ما بينهما من نسق ورواء وشذا ، أو الشجرة والشجرة ، وشتان ما بينهما من ثمر وجنى ؛ كذلك ترى الفتاة والفتاة ، وشتان ما بينهما من سناء وسنا

ماري نسيم

ايـــــران
فى القديم والحديث
للأستاذ مصطفى كامل

تتمتع إيران بفضل ارتفاعها عن سطح البحر كثيراً واتساع رقعتها بمناخين متمايزين ، أحدهما المناخ المعتدل ، وثانيهما المناخ الاستوائى . وقليل من بلاد العالم فى مثل اتساع رقعتها يستطيع أن يزهى بمثل هذا التباين فى المناخ، فبينما تكثر الأمطار فى الولايات الشمالية الثلاث التى تحد بحر الخزر ، فإنها لا تسقط فى الجنوب إلا فى فصل الربيع . أما هضبة إيران نفسها فإنها منطقة المناخ المعتدل .

وإيران من البلاد ذوات المدنيات القديمة ، فالاكتشافات التى تمت حديثاً فى السوس تدل بجلاء على أن العلاميين وهم من الجنس الآرى قد بلغوا مدنية مزدهرة فى عهد يمكن تحديده بأربعة آلاف سنة قبل المسيح .

وقد حل الفرس أول ما حلوا بالقرب من إيلان على هضبة إيران ، ثم قام واحد منهم فنال السلطان ، ثم جاء بعده شيروس فتوج ملكاً عام ٥٥٨ قبل الميلاد ، وقوض امبراطورية ميديا بعد عام ، وبعد أن تحالف مع الكلدانيين والمصريين دمر سطوة كرزوس ملك ليديا الذى كان يقلقه ، ثم فتح آسيا الصغرى ولم يلبث أن صار سيد كل آسيا الشرقية بلا منازع وكوّن امبراطورية لم يسبق أن كان لها مثيل.

على أن امبراطورية إيران بلغت ذروة المجد تحت حكم داريوس الأول ، ونالت التنظيم الإدارى الكامل واتسعت آماد حدودها اتساعاً كبيراً .

ولم يعرف العالم ملوك إيران بالفتوحات فحسب ، بل عرفهم كذلك بما بذلوه من الجهود لرخاء أمتهم .

واحتفظت إيران فى جميع العهود ، حتى فى العهد الإسلامى ، بطابعها واستقلالها الوطنى ، فقامت تحت حكم الصفويين وخاصة عباس العظيم بتقدم باهر ، وبلغت الهندسة والفن أوجهما فى عهده لكن إيران أخذت تنزوى بعد ملوك الصفويين شيئاً فشيئاً عن العالم ، وبدأت طرق القوافل القوية الجليلة تعبث بها أيدى الإهمال ، وتناسى آخر الملوك القاجاريين الفوائد التى كانت تعود على البلاد من موقعها الطبيعى فى طريق مرور التجارة ، ودفعوا أمتهم بسبب عدم قدرتهم إلى الانحطاط ، لأن الرجل القوى الممتاز كان ينقصهم . . . إلى أن وجد العاهل الحالى ، فكون رضا شاه ، تحت اسم بهلوى الأول ، الأسرة الحاكمة الجديدة . وسيسجل التاريخ بحروف كبيرة اسم هذا الشاه العظيم الذى جمع فى شخصه رئيس الجيش والمشرع والمنظم والمصلح



ينحدر جلالة الأمبراطور من أقدم وأنبل أسر إيران التى قطنت البلاد منذ أبعد العصور، وجلالته من مقاطعة سافادكوه التى يمثل أفرادها أنقى العناصر الإيرانية التى عرفت على مدى عصور التاريخ وفى مختلف الحوادث بالبطولة تارة وبالوطنية أخرى وانتظم فى السلك العسكرى طبقاً لتقاليد أسرته، فتقلد المناصب المختلفة فيها ودرج فى مراتبها حتى ولى قيادة الجيش العامة ، ثم لم يلبث أن قلد منصب وزارة الحربية إلى أن تولى العرش فى نهاية عام ١٩٢٥ .

ومنذ ولى الملك أيقظ روح النشاط الكامنة فى شعبه بعد أن أشفى على الهوة وأحيا أملها وقوى يقينها ، وبدأت الإصلاحات تتوالى فى جميع نواحى النشاط الوطنى .

لكن عمله لم يقتصر على إمداد شعبه بالأمل وتأييده بنفسه فى تحقيق الإصلاحات فإن أكثر أثره فى وضعه الأسس القوية لقيادة شعبه نحو مستقبل رخى عظيم جدير بماضيه المجيد .

وكانت أولى جهوده العناية بالجيش ، فأصدر قانون التجنيد الذى يلزم كل إيرانى بالخدمة فى الجيش ، وأنشأ المدارس العسكرية وأرسل البعثات إلى أوربا لاستكمال التعليم العسكرى ؛ ثم وجه التفاته نحو تكوين قوة الطيران العسكرى ؛ وفى طهران مدرسة يذهب عدد وافر منها كل عام إلى أوربا . ثم أنشأ القوة البحرية لتأمين الشواطىء الإيرانية فاستطاع أن يحقق طمأنينة البلاد منذ سنين .



صاحب السمو الامبراطورى ولى العهد فى سنة ١٩٣٤

وأما عمله فى ميدان السياسة فإنه استطاع أن يعقد اتفاقات عادلة على أساس من المساواة بدل تلك الاتفاقات الجائرة التى فرضتها الدول الأجنبية على بلاده فى عهد تدهورها .

وأولى أمور العدل عنايته كذلك ، فقام فيها بإصلاح كبير وسن القوانين فى زمن وجيز ، كان منها القانون المدنى والتجارى والتحكيم الإجبارى كما وضع المحاكم الدينية تحت رقابة الحكومة الرسمية وحدد لها اختصاصاً ضيقاً ؛ ثم استطاع أن يلغى فى عام ١٩٢٧ القضاء القنصلى والامتيازات الأجنبية .

ونالت مالية البلاد إصلاحات هامة فتعادلت الميزانية بعد استتباب الأمن وانتظام الحكم ، وبعد أن كانت الضرائب لا تجبى أو سيئة الجباية لضعف الحكومة واختلال الأمن .

وتعد مالية إيران من أسلم ميزانيات العالم ، والدولة لا تشعر برهق فى مواجهة أعبائها ، فماليتها تسمح لها بتحقيق مشروعاتها فى الإصلاح والمدنية

أما مسائل التعليم فتلفت النظر حقاً ، فقد شمل التعديل والتنظيم أموره وأصبح يجارى العصر الحديث كما تضاعفت ميزانيته وازداد عدد التلاميذ زيادة ضخمة

والتعليم إجبارى للأطفال من سن ٦ — ١٣ ذكوراً وإناثاً ، ومدة التعليم فيها ست سنوات فى المدن وأربع فى القرى ، بغير أجور فى المدارس العامة أو بأجر طفيف فى المدارس الخصوصية

أما مدة التعليم فى المدارس الثانوية فست للذكور وخمس للبنات ، والتدريس فيها على غرار المدارس الفرنسية خاصة

ومعاهد التعليم العالى الآن هى كلية الطب وطب الأسنان والصيدلة ، وكلية الحقوق والعلوم السياسية ، وكلية التعليم والزراعة ثم معاهد الفنون والصنائع والتعدين ، والتجارة والدباغة والفنون للبنات وغيرها من المعاهد

وأنشأ نظام البلديات ، فاستطاعت مدينة طهران بفضل بلديتها الحديثة أن تقوم بإنشاء المستشفيات والملاجئ ودور الإسعاف ودور الأمومة على منوال يضارع العواصم الأجنبية ، وخطت الحدائق والميادين على أجمل نظام ، وشقت الطرقات فى أنحاء المدينة فسهلت ميادين العمل ، وشيدت بنايات على أحدث طراز

ولا تقل باقى المدن الأخرى فى إيران شأناً عن العاصمة فى نواحى الاصلاح فعاد الجمال والسحر إلى البلاد التى اشتهرت بهما بفضل هذه الجهود المتضافرة

واهتم جلالته كذلك بالأمور الزراعية ، فتربة إيران غنية ومحصولاتها منوعة ، وعنى خاصة بذراعة القطن أخيراً وزراعة الشاى وقام بإجراءات هامة لزيادة إنتاج البلاد من بينها إنشاء مدرسة الزراعة كما أنشأ مدارس نموذجية لتعليم الناس استخدام الوسائل العصرية

ولا يقل نشاط الحكومة فى ميادين الصناعة عما ذكر فأولت عنايتها خاصة لإنمائها فقامت معامل الصناعة فى مختلف البلاد منها

معامل السكر التى تكفى حاجة البلاد ، ومعمل الأسمنت ، ومصانع النسج والدبغ والصابون والكبريت ، ومصانع السجاد التى اشتهرت بها إيران فى العالم

وأرض إيران غنية بالمناجم ، فيها الحديد والرصاص والنيكل والنحاس والزنك والزئبق والمنغانيز . كما دلت الأبحاث على أن بها الذهب والفضة والبلاتين . كما يوجد بها البوتاس والفحم الذى يستخرج بانتظام وبطريقة علمية

على أن أوفر منتجات مناجمها البترول مما يضعها بين أغنى بلاد العالم

ولم يفت جلالة الأمبراطور أن يهتم بطرق المواصلات . ولو عرفنا أنه شق أكثر من ٢٧ ألف كيلو متر من الطرق المنتظمة الواسعة رغم وعورة البلاد وطبيعتها الجبلية لأدركنا عظم الجهود التى بذلها

وامتدت كذلك أسلاك التلغراف كما أنشأ محطة لاسلكية قوية تتصل بأكبر محطات العالم، كما أن بها الآن خطى الطيران، بين باريز والهند الصينية ، وبين أمستردام وبتافيا

هذه هى لمحة عاجلة عن أعمال الامبراطور . كان عمله فى كل ناحية خلقاً . كانت إيران ميتة ، أما الآن فقد دبت فيها الحياة

الفن الايرانى

تعتبر أصفهان — مدينة الملوك الصفويين وعاصمة فارس مدى أحقاب طويلة — من ألطف بلاد إيران بفضل قصريها العجيبين ، وجسورها الرائعة ، وهيا كلها الفخمة الفنية ؛ فإن النقوش والتصاوير التى على جدرانها أعجب ما عمل من نوعها ، والسياح الذين يسافرون بين أصفهان وشيراز يعجبون بمجموعتين فخمتين من الهياكل

والبحوث التى تمت فى السنين الأخيرة كشفت عن نقوش عجيبة دلت على ثروة هائلة من المعلومات التاريخية ، ورفعت النقاب عن آثار جميع المدنيات التى تعاقبت على أرض الفرس

وعلى مقربة من هذه المنطقة تقع مدينة شيراز حيث يوجد قبرا الشاعرين الكبيرين : السعدى وحافظ ، كما يوجد غيرهما هياكل أثرية وأعمال فنية على جانب كبير من الأهمية

وهذه الولاية وولاية فارس كانتا مهد العظمة الفارسية قبل الإسلام ، وتوجد فى أزربيجان جوامع جميلة جداً ، كما توجد قبور الملوك الصفويين العظيمة



صاحب السمو الامبراطوري ولى العهد فى سن السابعة

وعلى شاطئ أراكس فى الجنوب الشرقى من أصفهان فى سهل مردخب الحالى الفسيح ، حيث ترى إلى الآن خرائبها ، كانت تقوم برسيبوليس التى كانت عاصمة الإمبراطورية الفارسية العظيمة منذ ألفين وخمسمائة عام ، وكان ينضوى تحت لوائها عشرون ولاية ، تمتد حدودها من فارجيانا Farg Kiana فى الشمال الشرقى إلى الحبشة فى الجنوب الغربى ، والبلقان فى الشمال الغربى إلى السند فى الجنوب الشرقى

الأدب الفارسى

كان الأدب الفارسى زاخراً فى كل وقت ، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة عهود ، العهد الدينى ، وعهد الملاحم، وعهد الشعر الغنائى ، ويكمل هذه الأنواع الثلاثة أدب المسرح والقصة

وقد خضعت اللغة الفارسية لعدة تعديلات ، فقد ظلت

الإيرانية القديمة اللغة الرسمية إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وهى لغة ساذجة فقيرة

ثم تطورت بعد ذلك إلى اللغة البهلوية ، وهى مزيج من الإيرانية القديمة والعناصر السامية ، وبقيت هى اللغة الوطنية إلى الفتح الإسلامى

على أن اللغة الفارسية الأخيرة لم تولد إلا فى القرن العاشر ، حين دخل على الروح الفارسية تطور أساسى ، فبعد أن كانت محض لغة دينية أصبحت لغة أدب ، وصار الشعراء محل إكرام وتبجيل فى بلاط الملوك وشغلوا مناصب رفيعة

وكان الفردوسى أكبرهم وأرواهم ، تجسدت فيه الروح الشرقية بشكل عجيب ، وخاصة فى الناحية الشعرية والغرامية ، وكان شعره يزدان بالفخامة والروعة اللتين كانتا تسودان فى بلاط الملوك

ويجب أن نذكر بين الشعراء الغنائيين السعدى الذى اشتهر بكتابيه كولستان والبستان اللذين يعتبران قانون الأخلاق الفارسية حتى لقد اشتهرا فى العالم أجمع كما أن العالم كله يعرف البديعيات الساحرة التى ينشر بها هذا الشاعر الكبير تعاليمه فى الأخلاق الدينية والإنسانية ، وإننا لنلمس تحت ستار الأمثال البديعة الدليل على إخلاصه فى إصلاح النفس والقلب الانسانى ؛ وقد يبدو أن الشاعر يعرفهما أتم معرفة لطول ما قاسى فى كثير من الملاحظة والتأمل

ويعجبنا فى السعدى حب الجمال والملاحة على الخصوص ؛ وهو على وجه خاص فنان لأنه شديد الحس ، يحيا بين الزهور ، ويحب الملابس المتألقة ، ويجمل أشخاصه بجواهر متناهية الدقة فى النقش ، ويعطرهم بالمسك والعنبر ؛ وإن يكن فنه غير فخم لكنه شديد الأناقة والرقة

وحافظ هو أحد شعراء الفرس الوطنيين الرشيقين ، وأحد الذين يفهم الغرب عنهم روح الشرقيين أحسن فهم بفلسفته الضاحكة وهزئه الساخر

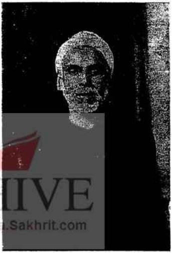
ثم عمر الخيام الذى يدين بشهرته لكتابه بالمعروف الرباعيات الذى يزخر بالسخرية والشك . وقد سببت ترجمة كتابه إلى الإنجليزية ضجة فى أوربا وأميركا حتى غدت شهرته الآن تملأ الآفاق

مصطفى كامل
المحامى

نظام العالم ونظام الدول

للأستاذ طنطاوي جوهري

الحقل والجامع الأزهر



نشأت في قريتنا كفر عوض الله حجازى من أعمال مديرية الشرقية – شاركت أسرتنا في أعمالها الزراعية – كان لهذه الأسرة الكبيرة اتصال حميد بعلماء الجامع الأزهر يغدون ويروحون كل عام على سراة الأسرة وأكابر القرية، وأكابر بلدة « الغار » التي فيها أسرة أخوال والدتي، فأثر ذلك كله في المرحوم والدي، فأرسلني إلى كتّاب في بلدة الغار وفيها جدتي لأمي، فحفظته بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثم أرسلني مع أقاربي إلى الجامع الأزهر لأكون كهؤلاء العلماء، ويكون لي عمود بالجامع الأزهر مثلهم . درست علومه . هنالك أصبحت السنة مقسمة بين دراستين : دراسة أزهرية ، ودراسة حقلية . ذلك أني سمعت في علم التوحيد أن العالم منظم – يا سبحان الله ، لا علم عندي ، لا كتاب يهديني ، لا مرشد يرشدني ؛ للقوة السلطان الأعظم ، ظلم مخيم ، جهل فاضح ، فأين نظام العالم ؟ أخذت أصوم النهار ، وأقوم بالليل ، وأسأل صانع العالم أن يهديني . أخذت أدرس الشمس والسحاب والحجر والشجر والزهر والزرع نهاراً ، وأدرس النجوم والقمر وأتأمل ذلك الجمال البديع في ظلمات الليل المدلهمات . وأخذت أقول : لعل وراء هذا الجمال حكماً وعلوماً ، ففي النهار جمال ، وفي الليل جمال . فما أسبابه وما نظامه ؟ حائر ، حائر ، حائر !

دار العلوم بعد الأزهر والحقل

لم يكن ليخطر لي أن في العالم حكمة وفلسفة تكشف اللثام عن هذا الوجود، كلا ولكن بعد اللتيا والتي أخذت أدرس الفلسفة القديمة بحذافيرها ولكني بعد ذلك لم أزل في موقفي الأول . أريد أن أفهم حقلنا الذي نزرع فيه القطن والقمح والذرة والبرسيم . هل هذه الأرض وما فوقها هي التي تحوى المواد الصالحة للبسنا وأغذيتنا وأغذية الحيوان ؟ وأخيراً ما هذه الطيور الجميلة المغردة المنعشة للفلاح في حقله ؟ وأخيراً ما هذا الجمال ؟ الجمال هو الذي أخذ بلبي وأرّقني ليلاً بنظراتي في النجوم، وأبهج قلبي نهاراً بنظراتي في الأشجار والزروع والأزهار

اتصلت بدار العلوم فدرست فيها علم الفلك الحديث بعد ما درست القديم في الفلسفة . هنالك دهشت أعظم الدهش وقلت في نفسي: هذه فرصة سانحة، فهاهم أولاء علماء الأمم قديماً وحديثاً نظروا فيما كنت حائراً فيه في حقلنا « ا » نظروا في مقادير المادة المسماة عندهم (بالكم) المتصل والمنفصل من الهندسة وعلم الفلك ومن الحساب والموسيقى فقاسوا هذا العالم وحسبوا الكواكب أبعاداً وأحجاماً وحركات فأرّخوا السنين والشهور والفصول وأوقات الخسوف والكسوف — الله أكبر . نظام بديع . حركات منظمة هذه أعز مطالبي وأجل ما أتمناه . إني لسعيد جد سعيد . كيف لا أكون سعيداً؟ ألم يظهر العلم أن أبعاد السيارات نفسها عن الشمس جاريات على سنن المتوالية الهندسية كما كشفه العلامة (بود) :

٣ — ٦ — ١٢ — ٢٤ — ٤٨ الخ

« ب » ثم إن العلماء لم يقفوا عند هذا الحد من البحث فإنهم نظروا في أشكال المادة وتنوعها فكانت العلوم الطبيعية وقد أحاطت بها العلوم الرياضية حتى إنهم رأوا في نحو الأحجار[1] الساقطة نظاماً حسابياً يرجع إلى الجذر والتربيع والمتواليات العددية ، ويدهش الحكيم حينما يرى[2] الجذر والتربيع مسيطرين على حساب البنادل المختلفة الأطوال وحركات الضوء والصوت والحرارة والكهرباء .

(١) ص ١٧ من أحلام في السياسة

(٢) ص ١٥ وما يليها من كتاب أحلام في السياسة

نظام العناصر ونظام أوراق النبات

وقد أدهشني أن للعناصر المشهورة اليوم [المبدوءة بالأيدروجين المختومة بعنصر (أورانيوم [١])] جدولا يضم متفرقها ويجعل بينها نسبا أفقية وأخرى رأسية بحيث ترى أن كل عنصرلو وضع فى غير موضعه لاختل جميع النظام — ياعجبا ! أيصل النظام إلى هذا الحد ؟ أكسجين فى الماء وفى الهواء ، وحديد ونحاس فى الجبال ، وصوديوم وكلور كامنان فى الملح المغمور بالماء فى البحار ، كيف يكون لها هذا الجدول المنظم وتكون بينها هذه النسب البديعة ؟ فأما هذا الإنسان الذى له السلطان الأعظم وهو الغاية القصوى من هذه العوالم فلا يكون له نظام؟ كلا. العقل ينكر هذا ـ ها هنا تحل مشكلة العالم ـ ها هنا مركز الدائرة ـ ها هنا عرفنا سبب النزاع القائم بين الأسرات والممالك ـ هأنذا عرفت سبب الجمال فى الحقول وفى السموات نهاراً وليلاً ، فأما أسباب الشقاق والنزاع بين الناس فالبحث جار فيه الآن كما ستراه .

وكما رأينا نظام العناصر المختلفة فى جدولها تاما رأينا لأوراق النبات على الأشجار المختلفة جداول منظمة ذوات نسب فى الصفوف الرأسية والصفوف الأفقية ، ولا مناص لى من الاكتفاء بالإشارة إليها فى هذا المقال حرصاً على وقت القارئ الكريم ، وتفصيل هذا وما قبله فى كتاب أحلام فى السياسة موضحاً مصوراً تصويراً شمسياً . وهل فى شرعة الإنصاف أن تعتبر أفراد الإنسان فى هذا العالم كمية مهملة لا نظام يجمعهم ، ولا قانون يكبحهم ؟ وقد رأينا النسب والقوانين لم تذر ذرات الأيدروجين مع ذرات الصوديوم ، ولا ورقات التفاح مع ورقات الأعشاب ، ولا حركات سقوط الأحجار ، إلى آخر ما قدمنا، كلا كلا . إن قوى نوع الإنسان وعقوله لها نسب خفية ، وكل امرئ فى الأرض له نسبة إلى غيره فى أمته وفى غيرها ، ولما خفى ذلك على الناس حاروا فى أمرهم فلم يجدوا مناصاً من الحرب لأنهم لم يهتدوا إلى نظامهم ، فكل يزعم أن له عند الآخر حقاً يريد أخذه بالقوة

منفعة جوارح الطير والحيوانات المفترسة لهذا العالم الأرضى [٢]

وساعد الناس على ذلك أنهم رأوا جوارح الطير تأكل بغاثها والأسود والنمور تأكل الأرانب والحملان ، فأخذ القوى يسطو على الضعيف . أوما علموا أن ههنا نظاماً درسه علماء الأمم قديماً وحديثاً ، فعلموا أن الحشرات تمتص العفونة والرطوبة اللتين لو بقيتا لأحدثتا فى الجو فساداً فهلك الحيوان والإنسان ، وهذه الحشرات بعد تأدية وظيفتها تصبح طعاماً سائغاً للطيور ونحوها ولو بقيت لكانت ضرراً وبيلاً . وهذه الطيور الكثيرة فى الجو والحيوانات التى تأكل النبات تهاجمها فى الحياة كواسر الطير وسباع الفلوات وتأكل رممها بعد الموت حفظاً للجو من مكروباتها وإلاّ يفسد الهواء وكان الوباء العام ، وروعيت الحكمة فى قلة توالد نحو الأسود وكثرة توالد نحو الأرانب والجرذان . ثم روعيت الحكمة فى الرحمة الملحوظة فى المواد المخدرة التى تفرغها العنكبوت مثلاً فى الذبابة عند اقتناصها فتكون مخدرة لا تحس بآلام

لم يفكر العامة والجهلاء فى ذلك وتبعهم رجال السياسة فى سائر أقطار الأمم الأرضية . إن هذه النظرة السطحية فى العلم قد آن أن يسقطها البرهان ويدحضها نوع الإنسان لأنهم درسوا

جمهورية الحيوان

لقد استبان للناس فى عصرنا أن للنحل وللنمل ولكلاب البحر وللغربان نظاماً عجيباً . وإن أبدع ما أدهشنى مما اطلعت عليه نظام النمل الأبيض ذلك الذى ألف فيه العلامة (أوزوريك) الألمانى فى عصرنا الحاضر كتاباً خاصاً عنوانه النمل الأبيض وانتشر بجميع اللغات فترى فيه صورة الملكة وبجانبها الملك وهو أصغر منها جثة وقد رأيتها تحكم مملكة متسعة الأرجاء وهى عمياء وتحت إشرافها عمال وجنود يحفظون الأمن ، ويشيد عمالها ممالك فى الصحارى لم يقطعها الفرنسيون بعد السكة الحديدية إلا بالديناميت وهؤلاء العمال لهم نظام فوق كل نظام وعدل، ومنهم حراس فى غاية الانتظام يقظون بل وصلوا على ما يقال إلى استنباط الماء من أوكسجين المادة وأيدروجينها ، هذا هو النظام الذى يعيش على مقتضاه النمل الأبيض الذى تدير سلطانه ملكة واحدة تحت إمرتها عدد يبلغ أضعافاً مضاعفة لعدد الإنسان على وجه الأرض . يظن علماء العصر أن أمثال هذه الحشرات عاشت قبل الإنسان بما يزيد على ثلثمائة مليون سنة وأن الإنسان لم يعش عليها أكثر من ثلثمائة ألف سنة فتم نظام الأول ونقص نظام الثانى

---

(١) ص ٢٢ من كتاب أحلام فى السياسة وتفسير سورة العنكبوت فى تفسير الجواهر (٢) كتاب أين الانسان .

كافح الإنسان الأول أشد الكفاح ليصل إلى الحقيقة عن طريق القتال وساعده على ذلك تباعد الديار وحيلولة البحار والجبال بين الأمم — وها هو ذا اليوم أزال الحواجز بالطيارات الطائرات والتلغراف بقسميه والراديو فاتصلت الأمم فآن لهم أن يفكروا — وها هنا خاطبنا علماء الأمم وذكرناهم بأن نوع الإنسان لن يشذ عن قاعدة هذه المخلوقات — إننا نرى الحكماء والأذكياء في نوع الإنسان أقل عدداً من غيرهم كما قل البارعون في الجمال ، ويقول أفلاطون قديماً : الناس ذهب وفضة ونحاس يريد بذلك الحكماء ورجال الجيش ثم الزراع والعمال وأضرابهم من سائر الناس . إذاً لم يتجاوز الإنسان نظام المعادن ونظام الهواء والماء ، فقد قل الذهب ليصلح لتقويم الأشياء وكثر الحديد لكثرة الحاجة إليه ، كما كثر الهواء وقل عنه الماء ، فإن حاجة الحيوان إلى التنفس أكثر منها إلى شرب الماء

النظام التام في المستقبل لنوع الإنسان

إن هنا لمنافع مادية وخواص طبيعية موزعة على الأرض ، وما حولها من المخلوقات ، وها هنا قوى وأقدار موزعات على أفراد نوع الإنسان . إن هذه المواهب الإنسانية تقابل هذه الخواص والمنافع المادية ، ولم يتسن للناس الانتفاع بهذه الخواص المادية إلا باستفراغ الجهد في استخراج[1] تلك القوى الكامنة في أفراد نوع الإنسان . هذه هي التي تحل مسألة السلام

فلتشكل لجنة من جميع الأمم تقوم بدراسة العامر والغامر في جميع القارات وتجد في أن تدرس أحوال الأمم كلها ، وتمضي كل أمة على استخراج ما كمن في عقول أبنائها من القوى والملكات وما في أرضها من الكنوز المدنية والزراعية وغيرها من الفوائد والثمرات ، وكل أمة قصرت فيهما أو كليهما فلترسل هذه الجمعية العامة من أبناء الأمم الأخرى الذين هم أقرب إلى هؤلاء الجاهلين من يكمل نقصهم ويرفع شأنهم في القسمين معاً ، ولهم في نظير ذلك فوائد وثمرات ، فإن كل قوة كامنة في فرد لم تستخرج في أي مملكة من الممالك الأرضية ، وكل منفعة كامنة في أي بقعة من بقاع أي مملكة أرضية لم تظهر في الوجود تكون خسارة وحرماناً لجميع نوع الإنسان فربما كان من هؤلاء المهملين في بلاد الصين مثلاً من إذا علم أصبح مفكراً كبيراً أو طبيباً عظيماً يتعدى أثره إلى سائر الأقطار وهكذا في البقاع المهجورة في الممالك المعمورة

دفع وهم

ربما يقول بعض الناس : إن قياس عقول الناس ومواهبهم على نظام السيارات حول الشمس وغيرها مبحث على ليس إلى تحقيقه من سبيل . وللاجابة على هذا الاعتراض أوجه نظر القادة والزعماء إلى فرع من فروع علم النفس في التربية وهو علم مقياس الذكاء فليسألوا مديري المدارس في الولايات المتحدة وفي انجلترا وغيرها : أليس مقياس الذكاء له اليوم السلطان الأعظم على وضع الشبان والشابات في الأعمال اللائقة لهم بعد نيل الشهادات العالية ، كما له ذلك السلطان أيام دخولهم المدارس ؟ إن الناس صائرون إلى ما قلناه شاءوا أم أبوا فليدرس نظام العقول ونظام الممالك ، وليعلم جميع نوع الإنسان طوعاً أو كرهاً . إن من مبادئ ذلك أنهم أخذوا يصطفون من الشبان في جميع أهل الأرض أقدرهم على المصارعة أو المسابقة فيعدونه بطلاً في تلك المصارعة أو المسابقة ، وهكذا يفعلون مع الفتيات فيصطفون منهن ملكة الجمال وذلك بمجرد الاختيار لا بالقنابل والخناجر والرماح ، فهكذا سيكونون في نظام السياسة وإدارة الأمم وحفظ المجموع ، سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

طنطاوي جوهري

(1) اقرأ كتاب أين الانسان

نعي الشتاء

للأستاذ محمود غنيم

تعادلَ الليلُ والنهارُ ... وأدرك القرَّ الاحتضارُ
وراح فصلُ الشتاء يهوى ... فى هُوَّةٍ مالها قرارُ
ياصفرة الموت أدركيه ... ليكسُوَ الأرضَ الاخضرارُ
كم ارتدينا فما وقانا ... منه شعارٌ ولا دثارُ
لا كان . هل فيه غيرُ برق ... من عينه يَقدَحُ الشرارُ
وغيرُ رعدٍ يصكُّ سمعى ... كأنما صوتُه خُوارُ ؟
يا من رأى قبله صريعاً ... غنَّى على رأسه الهزارُ ؟
أما ترى السُّحْبَ يوم ولَّى ... حفّتْ لها أدمعٌ غِزارُ ؟
لا يُثْلجُ الغيثُ حين يَهْمى ... صدرى ولو جفّتْ الثمارُ
وإن تغنّت به تميمٌ ... وسبّحت باسمه نزارُ
الدفء والضوء أين راحا ؟ ... لينكشِفْ عنهما الستارُ
والطيرُ والأيكُ أين غابا ؟ ... لينتفضْ عنهما الغبارُ
كم من نهار — مضى — عليه ... ثوبٌ من الليل مستعارُ
رياحه آذنت بحرب ... فالنَّقعُ فى جوّه مُثارُ
كأن شمس الشتاء ظبىٌ ... من طبعه الدَّلُّ والنِّفارُ
أو وجهُ عذراء ذاتِ خدر ... تظنُّ أن السفورَ عارُ
لا بدره إن بدا لُجَيْنٌ ... كلا ولا شمسهُ نُضارُ
كم أصبح الفحمُ — وهو فَحْمٌ — ... كالزاد لم تَخْلُ منه دارُ
كلُّ امرئٍ كالمجوس فيه ... أمامه موقدٌ ونارُ
نجومهُ قد مشين حبواً ... وشمسُه جرَّها البخارُ
إن جَنَّ فيه الدجى انصرفنا ... فالأرضُ من أهلها قِفارُ
وبات كل امرئٍ سجيناً ... فى داره حوله حِصارُ
يا ليت أعمارَنا ربيعٌ ... صِرْفٌ ولو أنها قِصارُ
لهفِى على معشَر إذاما ... دارت عروسُ السماء داروا
مَشَوْا معَ الشمس، كلُّ فصل ... لهم به كعبةٌ تُزارُ
كم ضاق مشتى بهم وجادت ... لهم بشطآنها البحارُ
قد لطّفَ المالُ كل جوٍّ ... فلا صقيعٌ ولا أُوارُ
وبات فى الحالتين يشقى ... من خانه مثلِىَ اليسارُ

محمود غنيم

وحى الربيع

أنفاس مرتعشة !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إنْ رَأيْتِ الكَرْمَ تَسْتَيقِظُ فى الوَادِى حَيَاتُهْ
وَحَدِيثَ الْحُبِّ فى الأَعْشَاشِ ذَاعَتْ هَمَسَاتُهْ
وَرَنِينَ البَاغِمِ الْمَسْحُورِ نَشْوَى نغَمَاتُهْ
وَحَنِينَ الجَوِّ فى الشُّطْآنِ رَفَّتْ سَبَحَاتُهْ
وَالْهَوَى فى مَعْبَدِ الْعُشَّاقِ عَادَتْ صَلَوَاتُهْ ...

... مِثْلَهَا عُودِى إلَيَّا
وَاسْكُبِى النُّورَ لَدَيَّا
وَالرَّحيقَ الْعَبْقَرِيَّا

عَلَّ أقدَاحَ الأَمَانِى تُسْعِدُ الْقَلْبَ الشَّقِيَّا

***

وَإِذَا بُسْتَانُكِ الهاجِرُ غَنَّاهُ الْخَيَالُ
وَجَنَا السَّحْرُ بِدُنْيَاهُ وَنَاغَاهُ الدَّلاَلُ
وَانْتَشَتْ مِنْ طُهْرِكِ الْعَالِى بِشَطَّيْهِ الظِّلَالُ
وَأَتَاكِ الشِّعْرُ يُذْكِيهِ حَنِينٌ وَابْتِهَالُ
كَنَبِيٍّ تَحْتَ أَنْوَارِكِ غَشَّاهُ الْجَلَالُ ...

فَاذْكُرِينِى فِى جِنَانِكْ
عَلَّ فَيْضًا مِنْ جَنَانِكْ
أَوْ صَبَاحًا مِنْ زَمَانِكْ

يَسْكُبُ النُّورَ لِفَانٍ لَمْ يَعُدْ فى الأَرْضِ حَيًّا !...

« وزارة المعارف » محمود حسن اسماعيل



غرائب العادات في الزواج

للآنسة زينب الحكيم

بمناسبة الزفاف الملكي السعيد ، الذي تشرح معالمه الصدور ، وتبهج زخارفه الأبصار بحيث لا نرى داعياً لوصف الواقع ، ولا ضرورة للتنبيه إلى روعته وفخامته ، كما أننا لسنا في حاجة لأن نسجل عنه شيئاً اليوم ليبقى مسطوراً على القرطاس للمستقبل ، لأنه حادث ستظل ذكراه باقية في حافظة الشعوب عامة ، وفي حافظة الشعبين المصري والإيراني خاصة . لهذا أذكر فيما يلي بعض غرائب العادات في الزواج في مختلف البلاد :

١ — شيكوسلوفاكيا : توجد عادة غريبة في بعض جهات شيكوسلوفاكيا ، وهي أن كل شاب يتقدم إلى فتاة لخطبتها ثم يخفق في مسعاه يقدم إليها شريطاً تضمه إلى غطاء رأسها كالموضح بالصورة (ش ١)

وكلما كثر عدد الأشرطة المقدمة للفتاة كان ذلك دليلاً على شهرتها وارتفاع قيمتها في أعين الخطاب الذين يتقدمون إليها . وعندما لا يبقى مكان لأشرطة أخرى تضاف إلى ما سبق أن علقته الفتاة على غطاء رأسها يتحتم على الفتاة أن تعزم أكيداً على اتخاذ أمر تنفذه بالنسبة لزواجها . فتصمم على اختيار واحد ممن تقدموا إليها وتكون أسرة

٢ — انجلترا : في انجلترا يتمتع العازمون على الزواج بحرية عظيمة في اختيار الشريك أو الشريكة ، ولهم ملء الحرية في المخالطة والتعارف قبل الزواج . ومما يذكر عنهم بالاعجاب والفخر أن الخطيب أيًا كان مركزه ومرتبه يترفع عن أن يشاكى خطيبته عند ما ترفض الزواج منه مهما يكن مقدار حبه لها

ويرجع الإنجليز ارتفاع نسبة الزواج الناجح عندهم إلى الأسباب المتقدمة وهي نسبة تفوق جميع النسب في العالم



(ش ١)

٣ — فنلاندا في شمال غربي روسيا : لنساء فنلاندا طريقة مختصرة في معاملة خطابهن ، وهي أن يوقد والد الفتاة شمعة أمام الهيكل في الكنيسة أثناء إحدى مقابلات أسرتي الخطيبين . فإذا تركتها ابنته تحترق كان ذلك دليلاً على أنها قبلت الزواج من خطيبها . أما إذا أطفأت الشمعة فذلك دلالة على أنها ترفضه إذ لا توجد بينهما جاذبية

٤ — السويد : إذا أكل فتى وفتاة من رغيف واحد من الخبز ، يقال إنهما متحابان دون ريب . فإذا كان ذلك صحيحاً يبدأ الخطيب التكلم فى الموضوع ، فيرسل صديقة له لتناقش الأمر مع أسرة الفتاة . فإذا نال العرض موافقة ، يقدمُ الخطيبُ للتعارف إلى أسرة الفتاة فى يوم الأحد المقبل بعد الحديث التمهيدى . وفى هذا الوقت لا يسمح للخطيبين بتجاذب أطراف الحديث أو بالمقابلة

وفى حالة إعلان الخطبة يقام مهرجان يقدم فيه الخطيب للخطيبة إناء فضياً يشبه فنجان الشاى الكبير بدون يد وبه قطع من النقود الفضية ملفوفة فى أوراق . ويتبع ذلك الزفاف، وهما يتبادلان الهدايا وقت حضور القسيس

٥ — لابلاند وإيسلندا : عادة تكون السيدة أكبر سنا من الرجل ، وتطول فترة الخطبة ، ويرجع هـذا غالباً إلى المصاريف الباهظة التى تسببها المجاملات وما يظهر به الخطيب من احترام لأسرة خطيبته كواجب حتمى عليه . ويكلف أيضاً بتقديم هدايا متوالية لها ولأقاربها .

٦ — اليونان : لا يسمح للخطيبين بالتقابل قبل يوم الزفاف إلا فى مناسبات رسمية دقيقة . وفى إيبرص Eyirus عند ما تكون الخطيبة قد تعرفت إلى زوجها فى دار القسيس بعد أن باركهما ، يطلب إليهما القسيس فى رجاء شديد ألا يتقابلا ثانية حتى يوم زفافهما ...

٧ — رومانيا : فيها عادة مشهورة جداً ، ولو أنها انقرضت الآن تقريباً ، وهى ما يعرف « بسوق الصبايا » فى يوم عيد سنت بول (فى ٢٩ يونيو) يجتمع البنات على قمة جبل عال اسمه Gaina وتكون كل واحدة منهن مزودة بجهازها ، ويحضر الخطاب مع آبائهم ويختارون خطيباتهم

وتوجد فى جهات أخرى من رومانيا عادات مشابهة كل الشبه لما يوجد فى ألبانيا ، إلا أنهم يؤجلون مهرجان العرس عند الطوائف المسيحية حتى تلد المرأة ولداً ، لأنهم يعتبرون أن الغرض الأول من الزواج هو خلف الأطفال الذين يضمون إلى القبيلة فيزيدون عددها وقوتها

٨ — فى غينيا الجديدة : للبنات والأولاد كامل الحرية فى الاختلاط قبل الزواج ، حتى لقد يمضون الليل سوياً ، وإذا وجدوا أن لا بد من التغيير ، فيفعلون ذلك حتى يتوق الخاطب إلى الخطيبة التى توافقه تماماً



(ش ٢) خطيب وخطيبته يتبادلان التحية

إذا قارنا ذلك بما يحدث فى اليابان ، وجدنا تبايناً كبيراً ، لأن مسألة الزواج عندهم من غير الأفراد المحدثين ، تترك كلها لتصرف الخاطب الذى يوفق بين الخطيبين ، ويرتب تقابلهما وتعارفهما ، ويكون ذلك فى مقهى يتناولون فيه الشاى ، ويكون على الفتاة تقديم شاى المهرجان لزوجها المنتظر

٩ — فى جزائر سليمان : الفتاة التى تخطب لرجل عظيم تمتكف قسراً فى خص بقرب خيام الحريم ، ويقدم لها غذاء دسم ، ولا يسمح لها بالخروج من ذلك الخص إلا مرة واحدة فى اليوم لتغسل آنية نحاسية كبيرة . وتبقى على تلك الحال ثلاث سنوات

متوالية تخرج في نهايتها من سجنها وقد نما على رأسها شعر أشبه بالفرجون الغزير جداً

١٠ — هنود كندا : عند ما يصمم رجل على الزواج يطلب إلى من اختارها أن تحزم له شراك صيده ، ويكون هذا التكليف منه لها بمثابة مفاتحتها بالخطبة ، فإذا قبلته تخطيب تطلب منه دون خجل أن يكلم أمها في الموضوع . وعادة تخبر البنت أمها بنفسها ، وعلى ذلك ترشدها إلى بناء مسكن لها بجوار مسكنها ، وعند ما يقام مهرجان الزفاف يصبحان زوجين

١١ — في غينيا الجديدة : يتعارف المحبون في حلقات الرقص المشترك ، فإذا أحب رجل امرأة لأول نظرة ، وتبع ذلك عزم على الزواج منها ، يفعلان ذلك دون جلبة أو إجراءات زواج من أي نوع ؛ إلا إذا كان له منافسون فعندئذ يتقدم إلى والد الفتاة بثمن يدفعه له عنها ، وأيضاً لا يتبع ذلك مهرجان زواج .

عادة التقبيل

إن التقبيل بالفم عادة أوربية على ما يعلم . أما التقبيل عند الصين مثلاً فيكون بواسطة فرك الأنف والفم على الوجه .

أما في أفريقيا وغيرها من البقاع غير المتمدنة فلم يلحظ أن المحبين فيها يقبل بعضهم بعضاً . والرومانيون كان لهم عدة طرق للتقبيل ، كتقبيل الوجنتين ويدل هذا على الصداقة . ويدل تقبيل الشفتين على العشق ، ولا تزال هذه الاصطلاحات معمولاً بها في فرنسا وممالك أوربا .

والرقص والألعاب المختلفة كانت كلها من مميزات الحياة الغابرة ، (كما أنها اليوم ميزة الحفلات الساهرة في حياة المتمدنين) وكما أنها وما تزال الأسباب المباشرة للتعارف واختيار الحبيبات .

أما الغناء والرواية فأمرهما مشهور معروف ، لا سيما في أيام البطولة والفروسية وعند كثير من القبائل . فالمحب قد يروى قصة غرامه غناء أو إنشاداً حال يمثل أصدقاؤه الرواية عملياً ، ولا يسع الفتاة المقصودة في كثير من الأحيان إلا أن تفتح ذراعيها في النهاية وتراقص خطيبها دليلاً على إتمام الزواج

القبلة في بلاد الحبشة

تعتبر القبلة في بلاد الحبشة روح الحياة الاجتماعية فيها ، وهي على عدة أشكال ، فتستعمل لكل تهنئة ، وكدليل على الاحترام ، وتمييز المقامات ، وتمضى بها المعاهدات السياسية أو التجارية ، والناس الذين لا يقبل بعضهم بعضاً علناً هم الأزواج والزوجات

هذا ويشاهد أن الحب يظهر بين المتمدنين في سن البلوغ ، ولكنه يظهر بين الهمج في الطفولة ، حتى لقد ترى الأطفال الصغار يمثلون أدواره في ألعابهم . كما يعد عند قبائل أفريقيا من العار ألا يكون للبنت أحباء ويسخرون منها إذا كانت ذلك . أما الولد الذي ليس له حبيبات ، فيعمل له سحر يجلب الحظ والتوفيق لإيجاد الحبيبات

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يذكر من غرائب عادات الزواج وفلسفات العواطف الإنسانية

زينب الحكيم



الكون يكبر

العوالم منتشرة على حيز كروى محدود ولكنه يتسع

للدكتور محمد محمود غالى

العوالم كالأسماك على شبك الصيد — أو كجسيات على سطح كرة تنتفخ — أثر تعديل اينشتاين لمادلاته — الحيز الكروى والعوالم كون محدود — في دراسة صورة الكون تجري المعارف أوسع الخطوات

لو أن صياداً ألقى شبكته فى الماء ، فتعلق بها عدد من السمك ، فما لا شك فيه، تتوقف المسافة بين سمكة وأخرى على حالة الشبكة. قد يكون الصياد حسن الحظ ، بحيث تتعلق سمكة على رأس كل معين فى الصف المشار إليه بالسهمين : شكل ١ الذى يمثِّل هذه الشبكة ، عندئذ يتحقق القارئ بنفسه أن الصياد قد وُفِّق إلى اصطياد ١٦ سمكة. ولو أن السمك فى عداد الكائنات، يرى ويفهم ويتصور ، فإنه لا يعدم وسيلة ، يتحقق بها من المسافة الواقعة بينه وبين كل سمكة .

لنفرض بعد ذلك ، لسبب خاص بمهنة الصياد كسهولة إخراج هذه الأسماك ، أن الصياد شد شبكته من الجهتين : اليمنى واليسرى فى اتجاه السهمين بحيث اتخذت هذه الحبائل الشكل الثانى ، الذى لا يختلف عن الشكل الأول إلا فى أنه ممدود ، فإن أى سمكة ترى جارتها الأولى ابتعدت عنها بمسافة معينة ؛ ولكنها ترى الجارة التى تليها ابتعدت بضعف هذه المسافة ، بحيث أن السمكة العاشرة مثلاً تُرى كأنها قطعت عشرة أمثال ماقطعته السمكة الأولى، وعندئذ تعتقد هذه السمكة التى افترضنا أنها متأملة أن الأسماك كلها تبتعد عنها بالذات ، أو أنها تهرب منها ؛ وأنه كلما كانت الأسماك بعيدة عنها كانت سرعة ابتعادها كبيرة .

يتأتى هذا الإحساس للسمكة ، لو أننا فرضنا أن الصياد قام بعملية شد الشبكة داخل الماء ، وأن السمكة المتأملة لا ترى حبائل الشبكة أو قاع البحر أو أى شىء غير جيرانها من السمك الذى وقع مثلها فى الحبائل . ولو أن السمكة المتأملة رأت كائناً آخر كالصياد أو شجرة أو شىء ثابت ، أو لو أنها رأت الحبال نفسها لأدركت أنها هى أيضاً تناولتها الحركة بقدر ما تناولت السمك جميعه ، وأن الأقدار شاءت لها هى أن تبتعد عن جاراتها بقدر ابتعادها عنها ، وأنه ليس هناك مركز خاص للابتعاد ، بل إنها وإخوتها جميعاً قد وقع لها نفس الحوادث



(شكل ١) حبائل الصياد قبل شد الشبكة

أمران أود أن يعلقا بذهن القارئ :

الأمر الأول : هو أن السمكة المتأملة إن لم تر من الكون إلا الأسماك الست عشرة التى تحدِّد عوالمها، فلا أرضاً ترى ولا ماء ولا صياداً ولا شجرة ، تصل إلى نتيجة تتلخص فى ابتعاد كل الأسماك عنها بسرعة تتزايد كلما كانت المسافة بعيدة

الأمر الثانى : هو أن السمكة العاقلة ترى من العوالم المحيطة بها حبائل الشبك ورمال الشاطئ ، بل ترى الصياد والشجرة ، وكل هذه أشياء ثابتة بالنسبة لها فتدرك أن أمراً آخر قد حدث: ذلك أن الحبائل كلها قد امتدت ، وأن الحركة تناولتها والأسماك بدرجة واحدة فليس هناك فرار بالمعنى الأول ، بل شاءت الأقدار

أن تقع على كون هو حبائل الشبك ، وأن هذا الكون يمتد

قد نستطيع الآن أن ننتقل من حبائل الصيد إلى الكون ، فكما أنه ليس هناك فى الحبائل المتقدمة مركز ثابت بل إن كل جزء منها امتد فابتعدت كل سمكة عن الأخرى ، وكما أنه يتراءى أن السمكة البعيدة تزيد سرعة ابتعادها عن سمكة معينة رغم أن جميع الأسماك تتناثر بقدر واحد ، كذلك الكون لسنا فيه مركزاً لابتعاد العوالم ، وهناك حيز يحملنا جميعاً هو الذى يمتد ، ولا يمنع امتداده أن نلاحظ ازدياداً فى سرعة العوالم كلما كانت بعيدة عنا

هذه السمكة العاقلة اتخذتها مثالاً للكون الذى نعيش فيه، نحن كسمكة من ملايين ملايين الأسماك ، ممتدة على حبائل أوسع من هذه ، وهناك صياد ماهر لانراه ، يتصرف بالعوالم كما يتصرف صياد السمك بالست عشرة سمكة التى كانت من نصيبه ، ويبحث العلماء فعل الصياد وأثر القوة الخفية التى تقوم بهذه العملية التى نعرفها حتى الآن ، ثم ننتقل إلى تعرف الحيز الحامل لنا ، هذا الحيز الموجود فى إطاره كل العوالم الطبيعية ، والذى سنرى أنه يختلف عن حيز أقليدس اللانهائى .

* * *

أوضحنا أننا كما نستطيع أن نعرف اقتراب أو ابتعاد قاطرة عنا من سماع صفيرها ، كذلك يمكن معرفة اقتراب أو ابتعاد مجموعة من النجوم عنا من موضع خطوطها الطيفية على الطيف العادى ، ففى حالة ابتعاد هذه النجوم تقترب خطوط طيفها من الجهة الحمراء ، وفى حالة اقترابها تقترب من الجهة الأخرى ، وتتعين سرعة ابتعاد النجم أو اقترابه من درجة اقتراب خطوطه الطيفية من أحد الطرفين .

وذكرنا أن العلوم النظرية والتجريبية قد برهنت على ابتعاد جميع العوالم عنا ، كما برهنت على زيادة سرعة ابتعادها مع بعدها ،



(شكل ٢) حبائل الصيد بعد شدها

قد يعترض القارئ أن أسماكاً ، فى صفوف أخرى ، تقترب فى الوقت الذى تتناثر فيه الست عشرة سمكة المتقدمة، ولكن عليه أن يتصور أن حبائل الشبكة من مادة تجيز التمدد فى جميع الجهات

* * *

مثال آخر يُقَرِّبُ للقارئ الصورة التى يعتقدها العلماء فى الكون ، ذلك أن تتصور كُرةً من المطاط ، انتشرت على سطحها وفى داخل قشرتها جسيمات صغيرة جداً شكل (٣) ، فإنه عندما تَنْتَفِخُ هذه الكرة ، تبتعد هذه الجسيمات الواحدة عن الأخرى وفق القانون المتقدم ، بحيث يبدو ونحن عند جسيم معين ازدياد ابتعاد الجسيمات الأخرى كلما كانت بعيدة عنه

هذه صورة الكون الذى يُفَسر مشاهداتنا إلى حد، ولا يزال علينا أن نعرف مدى ما يساعد عليه العلم النظرى من التثبت من هذه الصورة ، ويلزمنا قبل أن نبدأ هذا الشرح أن نلخص الوقائع فالعوالم ، التى تفصلنا عنها مسافة يقطعها الضوء فى ٣ ملايين سنة ، تبعد عنا بسرعة ٥٠٠ كيلو متر فى الثانية تقريباً ، أما العوالم المفصولة عنا بمسافة ١٥٠ مليون سنة ضوئية فتبتعد عنا بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر فى الثانية .

وتساءلنا لماذا تبتعد كل العوالم عنا ، وأعطينا الآن صورة للكون الذى نعلم عنه أن كل عالم فيه يبتعد عنا ، وأن سرعة الابتعاد تتزايد كلما كان بعيداً . هذه خلاصة ما وصلنا إليه ، على أننا نخطو بالقارئ خطوة أخرى إلى الأمام .

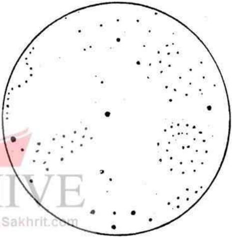
* * *

مهما يكن من الأمر فإنه لم يكن هناك غير طريقين لنجد تعليلاً لهذه السرعة الكبيرة للسدم التى تبتعد كلها عنا .

(١) إما أن هناك قوة للخارج (Force Repulsive) تدفع هذه الكائنات إلى السباق والتنافر .

(٢) أو أن تكون هذه السرعة موجودة ولازمة لهذه العوالم منذ التطور الأول للخليقة ، ومن يدرى ماضيها ؟ فقد تكون أكبر من ذلك بكثير .





(شكل ٣) كرة من المطاط أو الكون بعد أن ازداد حجمه بقدر خمسة أضعاف حجم الأول

على أنى لا أريد أن يفوت القارئ ، أن هذه السرعات الكبيرة ، قد لفت النظر إليها البحث النظرى قبل البحث التجريبى هذا البحث النظرى الذى بدأ بمعادلات « إينشتاين » عن النسبية فى وضعها العام ، والذى تبعه دراسة « دى سيتير » الذى توقع هذا التنافر للعوالم البعيدة . ولنعد بكلمة أخرى إلى عمل «أينشتاين» لنرى العلاقة بين عمله وبين صورة الكون

عند ما نشر أينشتاين نظرية النسبية فى وضعها العام سنة ١٩١٥ التى تناول فيها فزيقة المجال[1] ، والتى درس فيها المادة والكهرباء والإشعاع والجهد ، كان أهم جزء فى نظريته قانون الجاذبية ، الذى يتفق فى الحدود العادية مع نظريات نيوتن القديمة[1] ، على أن أينشتاين قد واجه فى ذلك الوقت بعض الصعوبات التى لكى يُذَلّلها ، عدّل معادلاته بحيث أصبحت تسمح بتقوس الحيز للمسافات البعيدة ، فحذف بعبقريته فكرة اللانهائية التى كانت تشغل دوراً فى العلوم ، بحيث إذا سرنا فى حيز أو كون أينشتاين الجديد دائماً للأمام ، رجعنا للنقطة التى بدأنا منها المسير

هذه المعادلات الجديدة الخاصة بالجاذبية ، نرى فيها ثابتاً جديداً يطلقون عليه الثابت الكونى La Constante Cosmique

على أن الذى يهمنا أن هذا الطرف الجديد فى معادلات أينشتاين خاص بوجود تنافر بين مجموعات الأجرام السماوية ، يتناسب مع المسافة ، تنافر كونى (Repulsion Cosmique) ، ليس له مركز خاص ، أى أنه قوة متعلقة بالثابت الكونى وتتناسب معه

ومما هو جدير بالذكر أن المسألة التى نحن بصددها الخاصة باتساع الكون وتعاظم مسافاته ، لم تكن قط موضع نظر أينشتاين ولم تكن بين المبررات التى دعته للتعديل الذى قام به هذا العالم الذى لم يهتم بالثابت الكونى بقدر اهتمام البروفسير فايل Weil له فيما بعد.

على أن تفكير أينشتاين هذا ، أفاد فى معارفنا فيما يخص الكون ، وخرج بنا من غير قصد من مصاعب كان لا بد أن نلقاها ، ذلك أنه إذا اعتبرنا المسافات البعيدة عن الـ ١٥٠ سنة الضوئية التى كانت آخر حدود رؤيتنا[2] نصل إلى أجرام تقرب سرعتها من سرعة الضوء ، وليس هنا المجال لنذكر ما فى ذلك من تناقض للنظريات الحديثة ؛ ولعل القارئ يدرك الآن كيف يمنعنا أينشتاين الذى كان لا يعرف هذه الصعوبة القائمة أمامنا ، من التوغل فى الكون بشكله الذى نستوعبه ، لأن الكون مغلق على نفسه ولأننا لا نلبث أن نعود من حيث نظن أننا لا زلنا نتوغل فيه

لست الآن بصدد أن أذكر القارئ أن الرياضيين توصلوا منذ أكثر من مائة عام إلى فرض حيز مُقوَّس يختلف عن حيز أقليدس ، وليس فى نيتى فى هذه الأسطر أن أستعرض علماً من أهم العلوم المعروفة اليوم ، هو هندسة ريمان (Reimann) وهندسة لوباتشيفيسكى

(١) اهتم العالم فى ذلك الوقت بنظرية الكم Quanta الخاصة بالجسيمات المتناهية فى الصغر ، وسنتكلم عنها فيما بعد ، ولقد كان للأستاذ ديراك P. A. M. Dirac سنة ١٩٢٨ الفضل الأكبر فى وضع العلائق بين نظريات أينشتاين فى النسبية ونظرية الكم ، وذلك بمعادلته الموجية النسبية الخاصة بالألكترون Iquation ondulatoire rélativiste de l'electron

(١) لقد أعلن أينشتاين منذ أربعة أيام ، أى ساعة كتابة هذا المقال ، تفسيراً جديداً للجاذبية وعلاقتها بالمادة والمغناطيسية ، ويعتقد العالم الكبير أنه فى طريق اكتشاف قانون عام يفسر التركيب الكونى ، وما خفى فى المادة والاشعاع ، ولعل إعلانه هذا لمناسبة بلوغه الستين

(٢) هذه الحدود الـ ١٥٠ مليون كانت حدود رؤيتنا فى سنة ١٩٣٤ والظاهر أنها بلغت هذا العام ٥٠٠ مليون (راجع مجلة الاكتشاف — كمبردج — يناير سنة ١٩٣٩ ص ٣٦)

Lobatcheveski التى تعتمد كلاهما على تقوس الحيز ، وتختلف عن الهندسة التى اعتدنا حل مسائلها فى المدارس ، والتى لا وجود فيها للخطين المتوازيين ، إنما أريد أن ألفت نظر القارئ إلى أن دراسة دقيقة للحيز الطبيعى أوصلت العلماء لخاصية تقوسه ، كما أوصلت ريمان لنفس النتيجة . أما ريمان فوصل لهذا التقوس لعدم إمكان إثبات نظرية واحدة، من بين الأربع والعشرين نظرية لأقليدس التى تعلمناها فى المدارس ، وهى نظرية خاصة بالمتوازيات . أما الطبيعيون فقدوصلوا لهذا التقوس بتجارب سنأتى عليها عندما نتكلم عن النسبية

وهكذا ظهر لنا حيز أقليدس المستقيم مقوساً، وظهر لنا أن هذا التقوس صفة طبيعية تسمح التجارب اليوم بالتحقق منها ، كما نتحقق من وجود المجال المغناطيسى دون أن نراه

وهكذا كما نصادف فى الطبيعة سطوحاً منحنية ، نصادف فيها حيزاً منحنياً ، أى أن له هذه الخاصية من التقوس الممكن قياسه ولكن يوجد فرق جوهرى بين التقوسين ، ذلك أنه يجوز لنا فى السطوح أن نمدّها أى نحذف خاصية الانحناء منها ، وذلك بالقيام بعملية معاكسة للانحناء ، ولكن لا نستطيع فى الحيز أن نجعله يتخلص من هذه الخاصية ، أى أنه لا يمكن تعديل صفته الطبيعية كما هو الحال فى السطوح

هذا الحيز أو الفراغ فى حالته البسيطة حيز ذو أربعة أبعاد ، وهذا البعد الرابع هو الذى ينحى الحيز فى اتجاهه — هذا التمثيل الرباعى الأبعاد ، فى الحالة البسيطة المتناسقة ، يصبح سداسياً أو ذا عشرة أبعاد عندما ننتقل من الحيز العادى إلى الحيز فى الزمن، وليس للقارئ أن يرتبك بهذا الحيز الأخير وعلى حد قولهم — إن ما يميز العالم الرياضى من غيره أن الأول يرى الأشياء فى أربعة حدود، إنه لاشك أن ثمة صعوبة فى تخيل الحيز ذى أربعة الأبعاد ، ويتصور أدنجتون (Edington) لذلك فقاعة كبيرة ، هذه الفقاعة ذات أربعة حدود، حيث الطول والعرض والارتفاع ، موجود كله فى القشرة المكونة لها (١)

هذا الحيز ذو الثلاثة الأبعاد المعوج فى حيز ذى أربعة أبعاد ، يعطينا الرياضيون عنه خواص تتصل بفهمنا للكون ، منها أن التقوس كاف ليعطينا حيزا مغلقاً يختلف عن الحيز المفتوح اللانهائى بالطريقة التى يختلف فيها سطح الكرة عن سطح مستو غير محدود

كل ما أريد أن يعلق بذهن القارئ ، هو أن يعتقد أن الحيز المتقوس نتيجة رياضية ، ونتيجة عملية فى آن واحد ، ونكرر القول أن الحيز الطبيعى الذى نحن فيه ، حيز من شأنه أن خطاً ما ، أو موجة ضوئية أو كهربائية ، تعود إلى النقطة التى بدأت منها ، بعد أن يكون كل منها قد دار حول الكون .

صحيح قد دلتنا التجارب حتى اليوم على أن التقوس صفة ضرورية ولازمة فى جزء من هذا الحيز، هو جزء محدود بمحدود رؤيتنا فهل يتقدم العلم التجريبى تقدماً يثبت فيه أن هذا الحيز محدود وأنه مغلق ؟ هذا ما يعتقده العلماء .

هذا الحيز المتقوس والمقفل على نفسه ، يعتقدون أنه كروى ، وأن وجود المادة فيه من آن لآخر يحدث اختلافات فيه عندها ، كما تحدث الجبال اختلافات فى كروية الأرض ، وكما أن المساحة الجانبية للكرة الأرضية محدودة ، كذلك حجم الحيز الكروى للكون محدود ، ولكنه يكبر

قد يتساءل القارئ : مالى ولكل هذا ؟ لماذا هذه الصورة من الكون التى تمنعنى تصوراتى من استيعابها ؟ أو نحن فى حاجة لهذه الصورة المعقدة ، لنفهم تمدد العوالم وابتعادها الواحد عن الآخر ؟ ألا يكفينا الفراغ الأقليدسى القديم الذى اعتدناه فى المدارس ، والذى فهمناه على أيدى مدرسين قديرين ، قطعوا السنين الطويلة فى تلقيننا صورته ، والذى دخلنا من أجله عشرات الامتحانات ؟ ألا يكفينى حيز أقليدس الذى أتصور فيه الطول والعرض والارتفاع لأى كائن كما أتصور فيه المسافات مهما بعدت؟

وجوابنا أن عالمنا الأقليدسى لا يكفى لفهم الظواهر الجديدة فى تمدد العالم ، ويتناقض مع معارفنا الحالية ، وإننى إذا كنت أجهدت نفسى فى أن نفهم معاً كوناً كروياً ، كروياً ليس كالكرة المعتادة ، فلأن لذلك صلة كبرى ، إن لم تكن بتمدد الكون فى ذاته ، فعلى الأقل بالنتائج التى تترتب على هذا التمدد ... نتائج سيدهش لها القارئ عند ما أدله عليها فى المقال القادم

ومع كل ذلك فليس ثمة سبب جدّى لهجر كون محدود وحيز مُتكوّر ، للرجوع إلى حيز أقليدسى غير محدود وهو بهذا غير معقول ، مادام العلم النظرى يجيز الحيز الجديد والعلم التجريبى يحتمه

هب أن أحد المؤرخين ، مهما علت مكانته ، وصف لنا مقبرة خوفو بالجيزة مخروطاً قائماً فى الصحراء ، وهب أننا رأينا رأى

(١) ليس لنا أن نتصور إمكان دوران هذه الفقاعة حول أحد المحاور المعروفة إذ لا يمكن أن نستوعب دوران أبعاد حول محور واحد ، ويدل التحليل الرياضى أن فقاعة فى أربعة أبعاد كهذه لا يمكن أن تدور حول أحد أبعادها وإنما حول اثنين من هذه الأبعاد أي ثلاثة حول مستو — هذه نتيجة إن عرفناها لا نستطيع أن نتخيلها .



الأغاني المصرية

للفنان محمد السيد المويلحي

أعتقد أن أسمى اللغات قاطبة وأقربها إلى العقل والقلب، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً في مسالك الأرض: هي الموسيقى وحدها لأنها لغة الطبيعة السهلة التي تجرى على كل لسان لتعبر عن خوالجه، وتترجم إحساسه وتصور أمله وعقله، بل وتسجل مقدار ما يتمتع به من حضارة وسمو، أو ما هو عليه من انحطاط وخمول!

ولا أحب في هذا المقام أن أستشهد بأقوال حكماء العالم فإنها معروفة، وإنما أحب أن أركز هذه الأقوال جميعاً في جملة واحدة للحكيم الصيني (كونفوشيوس) الذي قال: «أروني أغاني أمة من الأمم أركم مدى ما وصلت إليه من حضارة ورق ... !»

وقبل أن أعرض مع القارئ مبلغ ما وصلت إليه (أغانينا) من حضارة ورقى أو انحطاط وهبوط، سأحاول — ما استطعت — أن أعطيه فكرة عن الأغاني في شيء من الإيجاز، فإن للاسهاب وقتاً آخر.

١ — الأغاني الوصفية: وتشمل الموسيقى المسرحية ومحاكاة ما تسمعه الأذن من التفاعيل الطبيعية.

٢ — الأغاني الحماسية: وتستعمل في إشعال النفوس وتهيئتها لجو الحروب، والتضحية، والفداء ...

٣ — الأغاني الشعبية: وتمتاز بلونها السهل الذي لا تركيب فيه ولا تعقيد.

٤ — الأغاني الغزلية: وهي التي تترجم خلجات النفس وأماني الفؤاد، وتصور ما يلاقي الإنسان في حبه من توفيق أو فشل، وأثر هذا التوفيق أو هذا الفشل في حياته وتفكيره ...

٥ — الأغاني الصوفية: وهي التي يتداولها رجال (الذكر)

العين أن هذه المقبرة تمثل شكلا هرمياً، له قاعدة وأربعة أوجه، فليس لنا أن نواصل وصف الأهرام كمخروط وهو ليس بمخروط

ومهما يكن من عدد ملايين النجوم والسدم، أليس أقرب للذهن تصورها على كرة محدودة عن تصورها منتشرة في فضاء لا نهائي؟ هذه اللانهائية تتضاءل يوماً بعد يوم، وإذا كانت هذه المجموعة يبتعد بعضها عن بعض، فبدهي أنه يلزم لها حيز يكبر بحيث يقبل هذا التباعد، ومن السهل أن نفهم ذلك لو تصورنا مخلوقات عديدة موزعة على الأرض. إن هذه المخلوقات لا يمكنها أن يبتعد كل واحد منها عن الآخر، دون أن تقترب في نفس الوقت من أي كائن على الأرض، إلا إذا تصورنا أن الأرض نفسها تكبر

هذا هو الكون يدلنا العلم أنه محدود وأنه يمتد في جميع أنحائه، على نحو كرة المطاط السابقة، أو حبائل الصيد المتقدمة، قد تدل الأيام على خطأ في هذا التقدير، وقد تظهر هذه المسائل في يوم آخر بلون جديد، ولكن إذا أردت أن تعرف شكل الكون من هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم بدراسته، فقد دللتك على آرائهم، وليس أمثال دي سيتير واينشتاين وأدنجتون وغيرهم ممن لا يقام لرأيهم وزن، وغايتي بعد الذي وصلنا إليه أن أشرح للقارئ النتائج التي ترتبت على هذه الظاهرة الجديدة — ظاهرة تمدد الكون — نتائج أهم ما فيها الوصول لعلاقة بين الكون في مجموعه، وبين الذرة والالكترون، أي بين الكون وأصغر ما فيه، بل الوصول إلى معرفة عدد ذرات وألكترونات الكون مهما كان هذا الكون عظيماً.

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

ببراعة بارعة وقدرة قادرة على التصرف والخروج من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام ؛ ثم الرجوع إلى النغمة الأصلية والمقام الأول بسلامة ودقة .

٦ — أغانى العمال : ويستعملونها لمساعدتهم على أعمالهم الشاقة واحتمال ما هم فيه من حاجة وضنى .

٧ — أغانى الفرح : ويعبر بها الإنسان عن هناءته وسعادته وحبه لكل شيء جميل فى الحياة ...

٨ — أغانى الأطفال : وتستعملها الأمهات للتنبيه وللمناجاة ، ولجلب النوم ، ولإطفاء الغضب .

٩ — أغانى الحيوانات : ويستعين بها الرعاة والحداة على السيطرة على الحيوانات لتنتج أعظم إنتاج وأوفره ...

١٠ — أغانى النواح : وهى التى تجرى لحناً حزيناً مؤثراً فتلهب العواطف ، وتحرك القلوب ، وتثير الدموع .

١١ — أغانى المناسبات : وهى التى تغنى فى أوقات خاصة لمناسبات خاصة كأغانى رمضان ، وأغانى الحج ، وأغانى المواليد ، وأغانى الزار ... الخ .

١٢ — أغانى الكنيسة : وهى من أروع الموسيقى القديمة ولها لون يضفى على النفس إهاباً من السعادة والنور .

هذه بعض الأغانى التى تستعمل بعضها أكثر الشعوب استعمالاً يتفق وحضارتها أو تأخرها . فالشعوب الحية الناهضة تستعمل الأغانى الوصفية ، والحماسية ، والشعبية الخ ، وقلما تلجأ للأغانى الغزلية إلا فى القليل النادر ، وفى البيئات المحدودة ، ثم هى لا تعرف أغانى الحزن أو تعرفها ولكن لا تعزفها . . !

والشعوب (الرخوة) المتأخرة هى التى تغنى نفسها فى أغانى الحب وأغانى الحزن ، وذلك لانعدام قدرتها على السيطرة على عواطفها ، والتحكم فى خوالجها فهى خاضعة لشهواتها ، أسيرة لغرامها ، لا تعرف من الحب إلا (آهاته وأناته ...) !

ولننظر الآن فى أغانينا لنحكم بأنفسنا على مبلغ ما وصلنا إليه فيها ...

إنها بلغت درجة الإسفاف والانحدار تأليفاً وتلحيناً وبخاصة فى السنوات الأخيرة ، حتى أن الشعب أصبح على رغم صيحات الإنكار وصرخات الاحتجاج التى يرسلها المصلحون الناقمون على هذا التبذل الرخيص والمشفقون على الوطن ، وشباب الوطن من هذا (اللون) المسترخى البغيض الذى يشيع فى كل كلمة وكل لحن والذى تتناقله الألسن إما إعجاباً ، أو محاكاة ، أو ترديداً لا أكثر ولا أقل .. !

أقول إن الشعب برغم كل هذا لا يحرك ساكناً ، ولا يرسل صيحاته وإعجابه إلا للمغنى الذى يبكى أمامه ويندب حظه وحبه ويبدى ذله ودموعه بشكل ضعيف سخيف ، وإلا للمغنية التى تتأوه ، وترثى حبها وحبيبها فتصف قلبها الذى أضناه البعاد ، وحسنها الذى أذواه السهاد ...

فإذا حاول مطرب بعد هذا أن يساهم فى حركة الإصلاح فغنى مشيداً بتاريخ بلده العظيم ، أو حاضا على النهوض والوثوب أو مصوراً جلال الحاضر ورفعة المستقبل ، لا يقابل إلا بالفتور

فمن ذا الذى خدر أعصاب هذا الشعب ، حتى غدا لا يستسيغ إلا الساقط المسترخى الذى لا يقوم على أساس ولا ينهض إلا على الأنين المدّعى ، والحنين المصطنع ؟

من ذا الذى فرض تلك الأغانى التى لا فكرة فيها ، ولا غرض منها إلا ابتذالها وانحلالها ؟

للشهرة نصيب ، وللجهل نصيب !

فقد انتهز بعض المشهورين بالنواح وبالبكاء فرصة هجعة الحياة المصرية ففرضوا (لونهم) على الشعب فرضاً ، وسمموا حواسه وخدروها بالآهات المصطنعة ، وبالأنات المفتعلة ؛ ودأبوا طول هذه السنوات لا يغذونه إلا بهذا الغناء المسموم ، ولا يسمعونه إلا موسيقى جافة ميتة ، وإلا ألفاظاً ساقطة لا حياة فيها ولا فكرة تحييها ، ولا غرض يسمو بها إلى آفاق المجد الذى تفيض به الأغانى الأجنبية حتى أصبحوا — الآن — حجاباً صفيقاً بين الشعب وبين نوابغه من الموسيقيين العباقرة الذين ظلمتهم الشهرة الطاغية ، فوقفوا صامتين مقيدين لا تسمح لهم ضمائرهم بالهبوط إلى هذا الدرك ، ولا ترحمهم الحاجة الملحة إلى طلب القوت فترفع إليهم هذا الشعب الظالم نفسه وأهله

لا أريد هنا أن أسمى بعض المطربين والمطربات ، ولكننى أقول : إن بعضهم — وهم الذين يتحكمون فى سوق الأغانى

وفى سوق الإذاعة ، وفى سوق التمثيل السينمى فى هذا الوقت على الأقل — أقول إنهم قد اغتنوا واقتنوا ما يغنيهم عن استغلال أحط الغرائز الإنسانية التى لا تزال تتغذى منهم هذا الغذاء المجرم ! ما الذى يمنعهم من أن يساهموا فى هذه الطفرة المباركة التى ستنهض بالشعب عن طريق أغانيه ؟ ما الذى يمنعهم من أن يتركوا البكاء والعويل ويساهموا فى رفعة الشعب فيعرضوا عليه ألواناً من الحماسة والشجاعة والوصف الطبيعى الجميل ؟ إن تاريخنا مجيد سجدت له الدنيا ، وإن حاضرنا عظيم بنفوس أبنائه وهمة مليكه الشاب المفدى، فلم لا نخرج للدنيا ألحاناً خالدة خالية من الحب ، والغدر ، والهيام السقيم واللون الإفرنجى الذى يخالف ذوقنا وفننا كما أشار بذلك سيد الشباب وحفيد إسماعيل ... ؟

إن بلادنا غنية بجمالها وجلالها ، وإن شمسها وقمرها وسهولها وزروعها ونخيلها ونيلها، لو اتخذت موضوعاً للوصف والغناء لكانت فتنة للقلب، وسحراً للسمع، وإشادة صادقة بجمال صادق فذ فريد !

إن الشعب كالعجين فى أيدى الشعراء ، والزجالين ، والمطربين والمطربات... يتشكل بالشكل الذى يريده هؤلاء جميعاً فلم لا نهيئه للجو الذى نريده ويريده مثقفوه ؟ ولم لا نضطره إلى قبول هذا اللون الجميل الجليل بل إلى حبه وهو الذى يقبل منهم التافه المنحل ... ؟

إن الذين طبعوه على البكاء يستطيعون — لو أخلصوا — أن يطبعوه على حب المجد والتضحيه ومسايرة الشعوب الحية الناهضة القوية ، وإن الذين صوروه فى هيئة الرجل الذى لا يعرف إلا قلبه وحبه ، يستطيعون أن يصوروه فى هيئة الرجل الذى لا يعرف إلا مجد وطنه ونخر أمته

إن محطة الإذاعة يقع عليها جزء كبير من هذه التبعة فلن نكتفى منها بمحو كلمات (الذل ، والهجر ، والغدر) من الأغانى ، بل نطمع فى مساعدتها ومساهمتها فى هذا المشروع العظيم بكل ما تملك من سلطة وقوة... نطمع منها أن تمنع بتاتاً (أهازيج الغرام، وأدوار الهيام) وأن تشجع هؤلاء الذين يتقدمون إليها بأغانيهم القوية تشجيعاً يحفزهم على مواصلة عملهم والتقدم بفنهم إلى الأمام أبداً ...

عليها أن تضرب (بالشهرة) عرض الحائط ، وستجد من الشعب المثقف ومن الصحافة خير مشجع لها ومشيد بفضلها

إن الأمر لن يكلفها إلا القليل من الجرأة والإيمان بعدالة هذه القضية فهى متعاقدة مع بعض كبار الملحنين فلتكلفهم بتلحين جديد لكلام جديد ... فإن عجزوا فالمباريات لن تعجز والجيل الجديد من الموسيقيين الناشئين المثقفين لن يعجز !

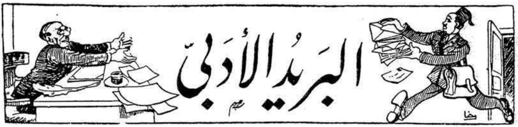
أعتقد أن وزارة المعارف وهى التى تشجع الفنون على اختلاف أنواعها لن تضن على الموسيقى بتشجيعها ، وعلى رأسها وزيرها الأديب ، ووكيلها الموسيقى بفطرته، والذى يتمنى أن يرى الموسيقى قد أخذت مكانها الرفيع فى التثقيف والتهذيب والتطريب القوى الذى لا انحدار فيه ولا استرخاء

إن الوزارة لو اشتركت مع محطة الإذاعة فى عمل مباريات تنظر فيها لجنة فنية من كبار الموسيقيين تكافأ بما يتناسب وجلال هذه المهمة لكانت خطوة موفقة، ولو كلفتهم الوزارة والمحطة بعمل قطع جديدة وكافأتهم مكافأة حسنة لكانت خطوة أكثر توفيقاً، وأكبر نجاحاً

أيها الناس ... لقد سئمنا الشهرة ، وسئمنا هذا الاستغلال الذى يتنافر وشرف الفن، ومللنا هذا البكاء المريض الذى لا يتفق وحضارتنا ، وكبرياءنا

نريد أن نحيا كما يحيا غيرنا . نريد أن نفخر بعزتنا ، وبوطننا ، وبمليكنا الذى يود أن يسمو بالأغانى عن منطقة الدموع والشهوات والقلب والحب ، والحسرات والزفرات . حتى لا يقال عنا إننا لا نعيش إلا لشهواتنا وقلبنا ..!!

محمد السيد المويلحى



النواحي الإنسانية في الرسول

قرأت كلمة للأستاذ زكي مبارك في العدد (٢٩٧) من مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان، وقد بنى هذه الكلمة على أساس أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم لم تدرس حق الدرس إلى اليوم في البيئات الإسلامية، لأن المسلمين يجعلونه رسولاً في جميع الأحوال، فهو لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحي من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل

ولو أن الأستاذ زكي مبارك رجع إلى ماضيه في الأزهر فقرأ شيئاً من كتب الأصول، لعرف أن المسلمين لم يكونوا بهذا الشكل الذي يصورهم به. وقد نعذر بعض المستشرقين إذا قال مثل هذا القول، ولكنا لا نعذر الأستاذ زكي مبارك، وقد تربى بين شيوخ الأزهر، ودرس الكتب الأزهرية، ووصل فيها إلى الحد الذي جعله يقدم نفسه من عامين لامتحان شهادة العالمية

فليس بصحيح أن المسلمين يعتقدون أن النبي لا يتقدم ولا يتأخر في جميع أحواله إلا بوحي من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل، والذي يعرفه المسلمون جميعاً أن الوحي لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وسلم شأن في أمور الدنيا، حتى ورد عنه هذا القول المشهور: «أنتم أعلم بأمور دنيا كم» وقد قال هذا حينما رأى قوماً يؤبرون النخل، فقال لهم: لو تركتموه لصلح، فتركوه اتباعاً لقوله ففسد، فلما رجعوا إليه قال لهم: أنتم أعلم بأمور دنيا كم

أما أمور الدين فقد جوز أكثر العلماء له الاجتهاد فيها بدون الوحي، وجوزوا عليه الخطأ فيها أيضاً، ولهذا عوتب في القرآن الكريم بقوله تعالى: «عفا الله عنك لم أذنت لهم» وبقوله: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» وقال صلى الله عليه وسلم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدْي»

وقد منع بعض العلماء أن يجتهد النبي في الأحكام من نفسه واستدلوا بقوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى» وأجاب الذين ذهبوا إلى جواز ذلك له بأن هذا مختص بالقرآن الكريم، وقد جاء رداً لما زعمه المشركون من افترائه له

فهل بعد هذا كله يصح أن يقول الأستاذ زكي مبارك: إن شخصية الرسول لم تدرس عند المسلمين حق الدرس إلى اليوم؟ وهل من اللائق أن نتنكر لماضينا هذا التنكر؟

عبد المتعال الصعيدي

من ملك مصر والشام الى ملك بيت المقدس

قاتلهم فكان خيرَ مقاتل، وهادنهم فكان أفضل مهادن، وغلبهم فكان أكرم غالب، وتكلم في الحرب فكان القول زمجرة ونهيما، ونطق في السلم فكان الكلام عَنْدَلَة[1] وهديلاً، وللهيجاء لسان، وللموادعة لغة. وكانت لهم في (بيت المقدس) مملكة استمرت مائة عام إلا قليلاً، ومات ملكها وبين (المغيروالذائد) هدنة، فأرسل بهذا الكتاب معزياً، ونحن ننشره في (رسالة العرب والعربية) نموذجاً من أدب النفس والخلق العالي والسياسة الحكيمة

إنه (صلاح الدين) تلميذ (محمد) خادم محمد، صلى الإله على محمد!

* * *

«كتب القاضي الفاضل عن السلطان (صلاح الدين يوسف ابن أيوب) إلى بردويل أحد ملوك الفرنج، وهو يومئذ مستول على بيت القدس وما معه، معزياً له في أبيه، ومهنئاً له بجلوسه في الملك بعده، ما صورته:

أما بعد: خصّ الله الملك المعظم حافظ بيت القدس بالجَدّ الصاعد، والسَّعد الساعد، والحق الزائد، والتوفيق الوارد؛ وهنأه من ملك قومه ما وُرِّثه، وأحسن من هداه فيما أتى به الدهر وأحدثه، فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوبَ الأصادق، والنَّعي الذي وَدِدْنا أنّ قائله غير صادق؛ بالملك العادل الأعزّ الذي لقّاه الله خير ما لَقّى مثله، وبلّغ الأرضَ سعادته

(١) البلبل يعندل

كما بلّغه محلّه؛ مُعزّ بما يجب فيه العزاء ، ومتأسف لفقده الذى عظمت به الأرزاء ؛ إلا أن الله سبحانه قد هون الحادث ، بأن جعل ولَدَهُ الوارث ؛ وأنسى المصاب ، بأن حفظ به النِّصاب ، ووهبه نعمتين : المُلكَ والشباب . فهنيئاً له ما حاز ، وسقياً لقبر والده الذى حقّ له الفداء لو جاز . ورسولنا الرئيسُ العميدُ مختار الدين أدام الله سلامته قائمٌ عنا بإقامة العزاء من لسانه ، ووصْف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخُلوّ مكانه ، وودّنا الذى هو ميراثُهُ عن والده من ودادنا ، فليلقَ التحيّة بمثلها ، وليأت الحسنة ليكون من أهلها ؛ وليعْلم أنّا له كما كنا لأبيه : مودةٌ صافية ، وعقيدة وافية ؛ ومحبة ثبت عقدُها فى الحياة والوفاه ، وسريرة حكمت فى الدنيا بالموافاه ؛ مع ما فى الدين من المخالفات . فليسترسل إلينا استرسال الواثق الذى لا يخجل ، وليعتمد علينا اعتماد الولد الذى لا يحمل عن والده ما تحمل ؛ والله يديم تعميره ، ويحرس تأميره ، ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويلهمه تصديق ظنّ الصديق »

* * *

ذلكم كتاب بطل المسلمين وقاهر الصليبيين (صلاح الدين)

وإن (معزّى) ملك بيت المقدس هو (منقذ) بيت المقدس

« الاسكندرية »

* * *

التصوف الاسلامى

أخى الأستاذ الزيات

يسرنى أن أقدم إليك القصة الآتية :

لما ظهر كتاب التصوف الإسلامى كنت أنتظر أن يقع من جميع الباحثين موقع القبول ، ثم أزعجنى أن يتلقاه بعض الناس بالكدر والامتعاض . وقد دلنى ذلك على أن التضامن منعدم بين أدباء هذا الجيل

وأعيذك أن تظن أنى خائفٌ على نفسى من لجاجة بعض الحاقدين . وكيف أخاف وذلك « البعض » واحدٌ من جملة الذين عادَونى وخاصمونى ثم ارتدوا على أعقابهم خاسرين ؟

أما الخوف على كتاب التصوف الإسلامى فهو لا يخطر فى البال ، لأن الكتاب سيشقّ طريقه إلى القلوب والعقول ، ولو تظاهر الناس كلهم على دفع أمواجه الأدبية والفلسفية

وإنما أشغل نفسى بهذه القضية لسببين : الأول حق التاريخ ، والثانى حق الواجب

أما حق التاريخ فهو تسجيل ظاهرة من ظواهر الأخلاق ، لأن ذلك الأستاذ الذى يحارب كتاب التصوف الإسلامى هو رجلٌ دفعتْ عنه كيد خصومه بكلمة قوية نشرتها فى مجلة الرسالة ، وما أمنّ عليه بما صنعت من جميل ، وإنما أسجل أننا قد نخطئ مواطن الجميل فى بعض الأحيان

أما حق الواجب فهو دفع الأذى عن العقول التى تُقبِل على مؤلفاتى ، فما يجوز أن أترك أنصارى عرضةً لأراجيف المتقولين والحاقدين

فما الذى عابه ذلك الأستاذ المفضال ؟

١ — قال : إنى كتبت فى التصوف ولست صوفيًا ، ولا يجوز عنده أن يكتب فى التصوف غير الصوفية !

وأجيب بأنى درست التصوف من الوجهة الأدبية والفلسفية وقد وصلتُ من ذلك إلى ما أريد . أما القول بأنى لست صوفيًّا فهو قولٌ مردود ، فتلك أسرارٌ يعلمها الله ويجهلها الناس . وأنا أكره أن أصف نفسى بالتقوى والزهد والتنسك لئلا أقع فى بلية الرياء ؛ وقد قلت ألف مرة إنى أحب أن ألقى الناس بالفجور وألقى الله بالعفاف ، وأنا راضٍ عن نصيبى عند علاّم الغيوب

٢ — وقال : إنى لوثت كتاب التصوف الإسلامى بالحديث عن أبى العتاهية ، وساق كلمة سفيهة وُصِف بها أبو العتاهية فى كتاب الأغانى

ولو أن هذا الناقد كان اطلع على كتاب (النثر الفنى) لعرف قيمة الأخبار الواردة فى كتاب الأغانى

وهل يصحّ فى حكم العقل أن نمحو اسم أبى العتاهية من سجلات الأدب بسبب كلمة سخيفة كتبها صاحب الأغانى ؟

أنا لا أنظر إلى أبى العتاهية إلا من جهة واحدة : هى أنه أنشأ فى الأدب العربى فنًا جديداً حين نظم قصائده الزهديات . ولن نستطيع أن نقاوم أبا العتاهية بعد أن أمدّ اللغة العربية بهذه الثروة الشعرية . وكيف نستطيع ذلك وفى المؤلفين من عدّ أبا العتاهية من أمراء الشعر فى العصر العباسى ؟

٣ — وعاب علىّ أن أتحدث عن زهديات أبى نواس فى كتاب التصوف الإسلامى .

وما العيب فى ذلك ؟

أنا تحدثت عن الندم الذى عاناه أبو نواس يوم هداه الله إلى المتاب ، فهل يغضّ ذلك من كتابى ؟

وهل هناك فرصة روحية أعظم من فرصة الفاجر حين يتوب ؟

وهل كان أبو نواس أسوأ خُلقاً من بعض شعراء اليونان الذين بقيت آثارهم على وجه الزمان ؟

إن الذين يعيبون عليّ أن أتحدث عن زهديات أبي نواس في كتاب التصوف ينظرون إلى الأخلاق نظرة سوقية لا فلسفية، وأمثال هؤلاء لا يقام لآرائهم وزن وإن لبسوا مُسوح الرهبان

٤ — ويعجب حضرة الناقد من ألا أكتب عن الحلاج غير إحدى عشرة صفحة ، ولو أنه كان تأمل لعرف كيف اختصرت القول في الحلاج ، لأن الحلاج درسه المستشرقون من قبل ، وأنا أبغض الحديث المعاد .

وأنا مع ذلك أقول إن الصفات التي كتبتها عن الحلاج ستكون نبراساً لكل من يكتب عن الحلاج ، ولن يستطيع باحث مهما اعتسف أن يجهل أني هديته إلى معالم الصواب .

٥ — وهناك مسألة سكت عنها هذا الناقد وتعرض لها بعض الأزهريين في كلمة نشرها بجريدة الدستور ، وهي أنني قلت : إن الحلاج صُلب كما صُلب المسيح .

وأنا قلت ذلك في كتاب التصوف الإسلامي ، ولكن له تأويل سجلته في الجزء الثاني من كتاب : « ليلى المريضة في العراق » . وقد فرغت من طبع هذا الجزء قبل أن يُنشر ذلك النقد بجريدة الدستور بأسابيع طوال .

وهل يفطن ذلك الناقد إلى السر في أن ينفي القرآن صلب المسيح ؟

إن لذلك سرًّا سنذيعه يوم نأمن كيد الذين لا يهمهم غير مضغ الأحاديث ، فقد شقينا بأراجيف الناس أعنف شقاء ، ومن الله وحده ننتظر حسن الجزاء .

زكي مبارك

الفائزون في المباراة الأدبية بين المدرسين

اعتمد معالي وزير المعارف النتيجة النهائية للمباراة الأدبية لتشجيع النتاج الفكري بين المدرسين

وننشر فيما يلي أسماء الفائزين ومقدار المكافأة التي تقرر منحها لكل منهم

في الأدب : الأستاذ فخري أبو السعود المدرس بمدرسة الرمل الثانوية وموضوع الرسالة « البارودي الشاعر » وقيمة الجائزة أربعون جنيهاً

في التاريخ : الأستاذ عباس الخرادلي مدرس أول بمدرسة الأمير فاروق الثانوية وموضوع الرسالة « تاريخ الثورة الفرنسية » وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً ...

« الخلافة والسياسة » للأستاذ فخري أبو السعود وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في الكيمياء : « الكيمياء ومسائل الحياة اليومية » للأستاذ حسن عبد السلام مدرس أول بمدرسة بنباقادن الثانوية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في الطبيعة : « الحسن بن الهيثم وجهوده في علم القوة » للأستاذ عبد الحميد حمدي مرسي المدرس بالأميرة فوزية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في النبات : « حياة النبات ومبدأ السنابل » للدكتور عبد الحليم منتصر المدرس بكلية العلوم وقيمة الجائزة سبعون جنيهاً

في الرياضة : « التحويلات الهندسية » للأستاذ حسن رضوان المدرس بالمهندسة التطبيقية وقيمة الجائزة أربعون جنيهاً

في الفلسفة والاجتماع : « أحلام الفلاسفة في المدينة الفاضلة » للأستاذ زكي نجيب محمود المدرس بالمدارس الثانوية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

« روح القومية مقدمة الإصلاح الاجتماعي » للأستاذ أحمد خاكي المدرس بدار العلوم وقيمة الجائزة سبعون جنيهاً

ولما كان من أغراض المسابقة إيجاد ذخيرة علمية وأدبية للطلاب وللجمهور في مصر باللغة العربية وخاصة في الموضوعات التي تنشر فيها مؤلفات عربية للآن فقد قررت الوزارة أن تقوم بطبع جميع الرسائل التي منحت جوائز ، على ألا تطبع الرسالة إلا بعد إجراء التعديلات التي اقترحتها اللجان العامة واللجان الفرعية وإقرار اللجان الفرعية للرسائل بعد تعديلها

وستحتفل الوزارة في اليوم الثلاثين من هذا الشهر بقاعة المحاضرات بجامعة فؤاد الأول بتوزيع الجوائز عليهم ، فيلقي معالي الوزير خطاباً ، ثم يرد عليه أحد الأساتذة الفائزين بكلمة

نشر الأدب العربي باللغة الفرنسية

نشرنا من قبل نبأ عن تأليف شعبة محلية لجمعية « جيوم بديه » تكون مهمتها نشر كتب الأدب العربي القديم باللغة الفرنسية ، رغبة في إيجاد صلة بين التفكير المصري وتفكير القدماء من أبناء لغة العرب

ونذكر لهذه المناسبة أن جمعية « جيوم بديه » قد درجت

في فرنسا على ترجمة المؤلفات التي صدرت باللغة اللاتينية ترجمة صحيحة باللغة الفرنسية

وستبدأ الشعبة المحلية بترجمة كتاب عربي يقدمه معالي الشيخ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف وتتوخى الجمعية في ترجمتها الحرص على إثبات النص العربي في أحد وجهي الكتاب وفي الوجه المقابل الترجمة الفرنسية

وستطبع كتبها في مصر ، ثم توزع في الخارج

هافاس والرسالة

روت وكالة هافاس أن الحملة التي قامت بها مجلة «الرسالة» على الطرق بصفة عامة والتجانية بصفة خاصة قد أحدثت تأثيراً كبيراً بالمغرب، وأن قاضي سطات من كبار حملة الأقلام في المغرب الأقصى وهو من رؤساء هذه الطريقة قد ألف كتاباً صغيراً في الرد على مجلة الرسالة وسيطبع عما قريب بعاصمة تونس. وقالت الوكالة المذكورة إن لهجة هذا الكتاب على غاية من الحدة ضد الهادم للطريقة التجانية وخصوصاً ضد الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء بالجزائر

هذا النبأ المفترى لا يوجد إلا في رأس مختلقه من أصحاب هذه الوكالة . وقد كذبت هافاس في هذا الخبر مرتين ، فالرسالة لم تقم بحملة ما ضد الطرقيين، وهي أرفع من أن تقوم بحملة من هذا النوع ، وكل ما كتبته في هذا الموضوع لا يتجاوز كلمة صغيرة للأستاذ علي الطنطاوي ، كتبها تعقيباً على مقال للعلامة الحجوي مندوب المعارف بالمغرب أبان فيها أن الطرق — بصفة عامة — عديمة الجدوى ، هذا إن لم تكن سبباً للتفريق بين جماعة المسلمين. والكلمة حق في حق لا تصل أن تكون حملة في الواقع ؛ على أن الرسالة أفسحت المجال للشيخ محمد الحافظ التجاني للدفاع عن الطريقة التجانية بما لا تعد بعده أنها حملت على هذه الطريقة

أما الكذبة الثانية فهي أن هذه الحملة الموهومة قد أحدثت تأثيراً كبيراً في المغرب ، والقاضي الذي أشارت إليه الوكالة أكبر شأنه أنه مجاني متطرف من غلاة التجانيين ليس أكثر. هذا علاوة عن أن الطرقية بالمغرب خفت صوتها منذ أصبحت أداة مسيرة بيد رجال القبعات مختفية تحت أصحاب العمائم

أما مجلة الرسالة الزاهرة ، والأستاذ علي الطنطاوي المسلم المؤمن ، والشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح الكبير ، فهؤلاء جميعاً أكبر من أن يتقدم طرقي مذبذب في كتيب خرافي

فاس — المغرب الأقصى (ا . م)

بمكتبة القرويين

في الفقه المقارن

أخرج الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي الطبعة الثالثة من كتابه (الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية) وهو بحوث في الفقه المقارن عني فيها المؤلف ببيان فضل الميراث في الشريعة الإسلامية على غيرها بعد أن بين أحكام الميراث في الإسلام، وأحكامه في غيره من الشرائع السماوية والوضعية

ويتناول المؤلف بعد بيان أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية، والمواريث في الشرائع القديمة : عند قدماء المصريين ، وعند الأمم الشرقية القديمة ، وعند العرب في الجاهلية ، وفي الشريعة اليهودية، وعند قدماء اليونان ، وعند قدماء الرومان ؛ ثم المواريث في الشرائع الحديثة : في القانون الفرنسي ، وعند الاشتراكيين

وبعد ذلك يجري الموازنة في الميراث بين الإسلام والشرائع القديمة والحديثة . ومن مواضع الموازنة : التسوية بين الذكور والنساء ، التسوية بين الأخوة ، إيثار أرشد الذكور ، إعطاء البكر نصيبين ... الخ

وقد سار في كل ذلك على نهج قويم من حيث بيان الأسباب المعقولة للمسائل والأحكام ، وقرع الحجة بالحجة ؛ والكلام يتسلسل في أسلوب بين ، سهل الورود ، مسعف بالإفادة ، إلى حسن تبويب ودقة ترتيب

وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها بكثير من الزيادات والتنقيحات. ويقع الكتاب في ١٣٦ صفحة من القطع المتوسط . ويطلب من مكتبة الشرق الإسلامية بشارع محمد علي أمام دار الكتب الملكية

الأسماء العربية لجبال القمر

قرأت مقالة الأستاذ قدري حافظ طوقان ، المنشورة في العدد ٢٩٤ من « الرسالة » ، بعنوان « القمر بين الحقيقة والخيال » فأعجبني ما جاء فيها من الحقائق العلمية الموضوعة بقالب يغري القارئ بمطالعتها . ولما كان حضرة الكاتب قد تطرق فيها إلى الكلام على جبال القمر ، كما أنه ذكر أسماء بعضها ، أحببت أن أؤيد كلامه بأمثلة أخرى من هذه الأسماء ، تهمنا بنوع خاص نحن الشرقيين ، فأقول : كنت قد وقفت على كتابين بالفرنسية للعلامة الفلكي مورو(Th. Moreux) أحدهما بعنوان « يوم في القمر »(١) وثانيهما بعنوان « بحث في القمر »(٢) . إن المؤلف يذكر في كليهما الأسماء

(١) Un Jour dans la Lune (Paris 1926)

(٢) L'Etude de la Lune (Paris 1937)

رسالة النقد

في سبيل العربية
كتاب البخلاء
للأستاذ محمود مصطفى

— ٢ —

ذكرنا فى المقال السابق مظهرين من مظاهر عمل الأستاذين الفاضلين العوامرى بك والجارم بك فى شرحهما لهذا الكتاب، وهى العناية بالإعراب، والتطبيق على علوم البلاغة.

واليوم نذكر مظهراً ثالثاً هو الإكثار من ذكر أسماء المراجع اللغوية، فما نفتأ نرى اسم اللسان والقاموس والصحاح وشرح القاموس والنهاية و... و... من غير حاجة إلى ذكر شىء من ذلك؛ لأن العادة جرت ألا يخص اسم مرجع بالذكر إلا إذا كان قد انفرد من بين بقية المراجع بإيراد ما نستدل عليه أو نحتج به، فأما الأمور التى اشتركت فيها كل المراجع أو أغلبها فلا نرى داعياً للنص على المرجع إلا أن يكون ذلك إدلالاً بمعرفة اسم الكتاب أو حيازته. ونكتفى من الدلالة على هذا المظهر فى عملهما بذكر مثلين وقعا فى صفحة واحدة هى ص ٢٩، قالا حفظهما الله:

(٨) الكلوح (بضم الكاف) تكشر فى عبوس. وقد كلح يكلح كمنع يمنع اهـ. من اللسان

(٩) قال فى القاموس: قطب يقطب قطبا من باب ضرب، وقطوباً بضم القاف فهو قاطب وقطوب: زوى مابين عينيه. اهـ

والذى ذكرا أنه من اللسان تراه فى القاموس. قال: «كلح كمنع كلوحا وكلاحا بضمهما تكشر فى عبوس. والذى ذكرا أنه من القاموس تراه فى كل كتاب غيره. قال فى المصباح: «قطب بين عينيه قطبا من باب ضرب جمع...» ويتصل بأمر المراجع اللغوية مسألة أخرى وهى الوقوف عند عبارات هذه المعاجم لا تزحزح معه ولا ريم منه مهما أدى ذلك إلى الإبهام أو الاشتباه بألفاظ لا يليق فى ذوق الشارحين أن تقع عليها أعين الطلاب والطالبات. وذلك كقولهما فى حاشية ص ٦٤: الختن من كان من قبل (بكسر ففتح) المرأة كالأب والأخ والعم والخال.

الجغرافية التى أطلقها علماء الفلك من أبناء الغرب على جبال القمر، كما أطلقوا غيرها على سائر عوارضه السطحية. ومما يلفت الأنظار فى هذه التسميات التى تُعَدُّ بالمئات، تلك الطائفةُ التى اتخذت لها أسماء تعود إلى مشاهير التاريخ الشرقى، بل العربى على الأخص. وهأنذا ذاكرها فيما يلى، مع ما يقابلها بالأفرنجية نقلاً عن الكتابين المشار إليهما:

أبو الفدا	Abulféda
ألغ بك	Ulugh Beigh
البتانى	Albatagne
ثابت (بنى قرة)	Thébit
الحسن (بن الهيثم)	Alhazen
الزرقالى (ابراهيم بن النقاش الطليطلى)	Arzachel
المأمون	Almamon
نصير الدين (الطوسى)	Nasireddin

ولا يخفى أن أغلبية هذه الشخصيات كانت ذات يد طولى فى علم الفلك وما يتصل به من العلوم الأخرى. فلا غرو أن يُخلَّد ذكرهم بهذه الطريقة العلمية الصامتة التى قلما يعلم بها أخلافهم اليوم. وهلاَّ تُذكِّرنا هذه التسميات العربية بما يماثلها فى كوكبنا الأرضى، حيث نجد مواقع عديدة سميت بأسماء مشاهير رجال العرب كجبل طارق وبلد الوليد والقاهرة والمدرسة المستنصرية وغيرها مما يطول سردها ويخرج بنا عما أردناه من هذه الكلمة..

«بغداد» كوركيس حنا عواد

أيدري القارئ لم اضطر الشارحان إلى تقييد كلمة قبل بكسر ففتح؟ ذلك لأنهما أرادا أن ينفيا شبهة قراءتها بضمتين فيقع المحظور الذي تتوقاه وزارة المعارف . ولكنى أقول إن هذا الضبط الذي قصد به لفت النظر والفكر عن شيء غير لائق كان أدل شيء على ذلك الشيء . فأى داع إلى التزام هذا اللفظ خصوصاً بعد أن تنبه الشارحان إلى ما فيه من خطر على الطلاب والطالبات ؟ لا نرى ذلك الداعى إلا وقوفهما عند ألفاظ المعاجم لا يريمان منها ولو قيد أنملة . وفى ألفاظ : جهة المرأة أو ناحية المرأة أو جانب المرأة ما يغنينا عن قولهما بكسر ففتح بين قوسين

ومن ذلك أيضاً قولهما فى حاشية ص ١٧٦ : (٦) المذاكرة مفاعلة من الذكر (بكسر فسكون) وهما لم يقيدا المفاعلة بأنها من الذكر (بكسر فسكون) إلا احترازاً من مفاعلة أخرى يكون الذكر فيها بضبط آخر غير ما ذكرا ، وقد كان نفى هذه الشبهة أدعى إلى الوقوع فيها . فلا حول ولا قوة إلا بالله

ولا نترك هـذا المقام حتى نأتى فيه على أكثر ما لاحظنا من الجمود اللغوى لتكون تلك الملاحظات مجتمعة ، وبذلك نكون قد عدنا إلى التبويب الذى رأينا ألا نتبعه فى نقدنا هذا

من الوقوف عند ألفاظ المعاجم أن ترى الشارحين قد ألغيا عقلهما الحصيف ففرقا بين ما لا فرق فيه وعرفا بما لا تعريف به ، وظنا بعد ذلك أنهما قد أبليا عذراً فى الشرح وحققا ودققا إلى أبعد غايات التحقيق والتدقيق

وهاك فاسمع أيها القارئ أولها فى ص ١٧٦ أيضاً :

(١١) قعر فى كلامه تشدق وتكلم بأقصى قعر فمه وقيل تكلم بأقصى حلقه.. لسان

وقبل أن نحتكم إلى الطبيب الشرعى أو الجراح العالم بتشريح الفم أؤكد وأشدد أنه لا فرق بين العبارتين وأنا أخالف مقدماً كل من يحاول إثبات فرق بين أقصى قعر الفم وأقصى الحلق .!!

كذلك تسمع قولهما فى ص ١٦١ عنـد قول الجاحظ فيمن لم يتخذ بناء البيوت للاستغلال وآثر دفع السكنى بأجر « وأنه قد أمن من الحرق والغرق وميل أسطوان وانقصاف سهم واسترخاء أساس » فهما يقولان : (٦) السهم جائز السقف أو جائزته فماذا استفدنا نحن من تذكير لفظ جائز مرة وتأنيثه أخرى، مادام المعنى قد صار أغمض مما كان ؟ فهل يعقل وقوع مثل هذا من عالمين فاضلين كالشارحين؟ إنى أترك للقارئ الحكم على هذا العمل فالقول لا يتسع له

وأعجب ما فى عناية الشارحين باللغة أنهما حاولا أن يشرحا كل شيء حتى شرحا البدهى أو ما هو أوضح من البدهى. وقد تعجب من قولى أوضح من البدهى ! ولكن اسمع، فهما فى ص ٧٣ يعلقان على كلمة أصبح بقولهما :

(١) أصبح : دخل فى الصباح .!!. وهـذه مسألة أخرى أثارها تفسير الشارحين لكلمة أصبح . هل نحن الذين ندخل فى الصباح أم الصباح هو الذى يدخل علينا ؟ وهل الصباح هو الواقف ونحن المتحركون ، أم هو المتحرك ونحن الجامدون !!!

ماذا يسمى القارئ هذه العناية بالصغائر ، وتفسير ما لا يحتاج إلى تفسير، والإغضاء عما فى كتب السابقين من اضطراب ،من رجلين وكل إليهما أمر إصلاح العربية فى وزارة المعارف وفى مجمع اللغة ؟!

نعود بعد ذلك إلى تتبع سقطات الشرح بحسب ترتيب الكتاب فنقول :

فى ص ٢٧ يقول الجاحظ : « ولك فى هذا الكتاب ثلاثة أشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة » فيضبط الشارحان كلمات : تبين وتعرف واستفادة بالكسر ، ولا يتركان هذا الضبط دون تنبيه على سببه حتى كان يصح أن نحمل الخطأ فيـه على الطابع الذى نحمله فى كثير من الأحيان ما لا جناية له فيه ، حتى لقد اسودت أعضاؤه وثيابه من تحمل غلطاتنا كما اسود الحجر الأسود من مسح الناس ذنوبهم فيه لم يترك الشارحان هذا الضبط الخاطئ من غير تعليق بل لقد علقا عليه بقولهما : (٣) تبين بدل من أشياء . وأنا أربأ بكل قارئ عن أن أوجه إليه بيان الخطأ فى ذلك فهو أمر ظاهر لكل من به مسكة من نحوية، ولكنى أوجه قولى فى ذلك إلى طلاب السنة الثالثة أو الرابعة من المدارس الابتدائية فأقول لهما إذا قلنا حضرنى ثلاثة رجال محمد وعلى ومحمود ، أليس محمد بدل بعض من لفظ ثلاثة لأنه بعضها ، وإذا ضممناه إلى أخويه كان المجموع هو مدلول «ثلاثة» فكيف يجوز الإبدال من لفظ أشياء فى جملة الجاحظ وهى بمثابة كلمة رجال فى جملتنا هذه الصغيرة ؟ ألم يقل النحاة إن البدل على نية تكرار العامل ، فإذا أبدلت من كلمة رجال كان تقدير الكلام حضرنى ثلاثةُ محمدٍ وعلى ومحمود (بالإضافة) . فهل يسوغ هذا القول فى ذوق أو فهم ؟

هذه غلطة إذا ضبطها أحد المفتشين لمعلم صب عليه غضبه وأعاده من الثانوى إلى الابتدائى وحرمه من العلاوة حين يجيء دوره فيها ، بل إذا وقع فيها تلميذ فى امتحان الابتدائية وكان نجاحه يتوقف على التسامح فيها لم ترض للمفتش غيرته على العربية أن يتسامح فيها ورسب التلميذ من أجل ذلك فى الامتحان ، وربما كان رسوبه قضاء



حديث الأسبوع

و... غلطة فنية أخرى

فى نص القرار الذى صدر بتكوين « الفرقة القومية المصرية » ما معناه أنها أنشئت لتحمل رسالة ثقافية عن المسرح النموذجى ولتبذر فى نفوس الشعب حب هذا المسرح وموالاة تشجيعه ... على هذا الأساس تكونت الفرقة وضمت إليها أقوى العناصر الفنية فى الشرق وأقواها وأثبتها قدماً ، وعلى أكتاف هؤلاء استقام البناء وطرق الشعب بابه ، ثم عادوا بين مادح وقادح ومتفائل ومتشائم ، حتى سلخت الفرقة من عمرها عاماً تركها بعده المخرج المعروف ومبعوث الحكومة فى مسرح الأوديون (زكى طليمات) ليخدم المسرح عن طريق آخر ما دامت قد أوقفت فى وجهه أشباح المطامع والأغراض

وظلت الفرقة فى سيرها تتخبط ، فاستدعت إدارتها خبيراً فرنسيًّا ، ثم انتدبت بعد ذلك مخرجاً فرنسيًّا أيضاً ليعلم الممثلين المصريين التمثيل بلغتهم وليتولى إخراج مسرحيات لفظتها بلادها ورآها هو عند ما كان يعمل مساعداً لأحد مديرى المسارح المتنقلة فى الريف الفرنسى « ريجسير » فنقلها كما هى فعدنا إلى الوراء سنين عديدة لنقلد ببغاء لولا أنه أجنبى ما وصل إلى مركزه

حياة الظلام

اشترى ستديو مصر من الأستاذ محمود كامل المحامى حق إخراج قصته الطويلة « حياة الظلام » وعهد بإخراجها إلى المخرج الشاب احمد بدرخان الذى بدأ العمل منذ أسبوع بعد أن اختار مجموعة فنية كبيرة لمعاونته

و « حياة الظلام » قصة عاطفية تعبر عن نوع غريب من الحب العاصف الذى ربط بين قلب ساذج بكر وقلب أثملته تجارب الحياة الغرامية فامتلأ بالحب على أنواعه ومناحيه واستطاع أن يتفنن فى الخديعة ويحسن الزيف ولكنه خضع أخيراً واستسلم ..

وهى أيضاً من نوع لم تألفه السينما المصرية إذ لم يستطع مخرج مصرى أن يقدم على طرق مثل هذا الموضوع والتفكير فى إخراجه خشية الرقيب والتقاليد فى الوقت الذى نرى فيه الشركات الأجنبية تفضل هذا الصنف من القصة العاطفية التى تتحدث عن « حياة الليل » وما نجاح « نانا » لأميل زولا ببعيد ...

وعهدت إدارة ستديو مصر إلى الهر شارفنبرج بعمل « الديكوراسه » كما سيسجل الصوت فيه مصطفى والى وعزيز فاضل ويقوم بعمل « المونتاج » جمال الدين مدكور . أما من اختيروا للتمثيل فهم مجموعة فنية على رأسها الممثل الكبير زكى رستم ومنسى فهمى . أولها فى دور عبد الستار الشرقاوى ، والثانى فى دور الأب ، ثم عبد الفتاح القصيرى ، وأنور وجدى الذى سيمثل دور

على آماله فانتحر ولكننا نرى الشارحين قد وقعا فيها وأكداها بالتفسير والتعليق ومع ذلك لم ينقلا من عملهما ولم يحرما علاوة لهما ، ولم ... الخ

وفى الصفحة عينها ينقل الجاحظ قول بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبى له : « لا تجزع فإنه أفتح لجرمه وأصح لبصره » فيعلق الشارحان على ذلك بقولهما :

(١٣) أفتح لجرمه ، الجرم الجسم وأفتح له : أعظم إنماء له . والمعجم الذى نقلا منه أن معنى الجرم الجسم ، هو نفسه المعجم الذى يفسر الجرم بالحلق . فانظر إلى أى حد يتخطى الصواب مع وضوحه ، ويجنح للخطأ مع شناعته وبعد تصوره ؟!!

وقبل أن نختم مقالنا هذا نرجو من حضرة صاحب المعالى وزير المعارف أن يلقى باله إلى كلامنا ويقيسه بمقياس العلم الذى ينشره أو الجهل الذى يحاربه . فوزير المعارف حريص على الحقائق خصوصاً إذا كان قد دفع من خزانة الدولة ثمناً باهظاً لها .

(للكلام بقايا)

محمود مصطفى
المدرس بكلية اللغة العربية

محمود الشيمى . ويأتى بعد ذلك دور احمد علوى بطل القصة وقد وقع الاختيار على وجه جديد ليقوم به . . . أما الأدوار النسائية فقد أسندت إلى السيدة أمينة شكيب وفردوس محمد وروحية خالد. ولعله مما يهم بعض متتبعى قصص الأستاذ كامل أن يعرفوا أن « للمواويل » نصيباً فى فلمه ، وسيغنيها عبده السروجى ومحمد الكحلاوى ومطربة ناشئة اسمها آمال

رحلة الفرقة القومية

منذ زمن يرجع عهده إلى ما قبل انتهاء الدورة الأولى لهذا الموسم وإدارة الفرقة القومية تشيع أنها قد نظمت رحلة إلى الوجهين البحرى والقبلى والمحافظات « لإعطاء الشعب الفكرة المثلى عن المسرحية العالية النموذجية وللارتقاء بأفهام الجمهور » . ولكن الرحلة لم تتم وموعدها لم يحدد . وتساءل الناس هل عدلت الفرقة عن الرحلة أم أجلتها أم تراها فى هذه الأيام تستعد للدورة الثانية التى تبدأها فى الوقت الذى تقفر فيه القاهرة من مسارحها ؟

والواقع أن الإدارة غير المستقرة هى السبب فى كل هذا الارتباك وهى المسئولة عن تأجيل الرحلة وتعطيل العمل، وهى المسئولة أيضاً عن قرارها الذى صدر بتعيين موعد الرحلة وهو يوم ٢٠ الجارى إلى الوجهين حيث تمثل بعض المسرحيات المصرية الناجحة ... وبتأجيل هذا الموعد لسبب من الأسباب التى تراها بعينها الناقدتين. وعلى أية حال سواء قامت الفرقة بالرحلة أم لم تقم فقد أعدت للدورة القادمة مسرحياتها وهى « عطيل » و « تلميذ الشيطان » و « المال والبنون » و « رسالة المرأة » ؛ وجميعها من إخراج فلاندر إلا « المال والبنون » فهى من إخراج جميعى

الى باريس

يعمل القسم الفنى فى شركة فنار فيلم تحت إشراف السيدة بهيجة حافظ للانتهاء من « مونتاج » النسخة الناطقة بالفرنسية من فيلم ليلى بنت الصحراء، وقد يتم ذلك فى حوالى منتصف الشهر القادم إذ تكون النسخة قد أعدت « سالبة » وموجبه فتحملها بهيجة معها إلى باريس ليتم طبعها هناك

ولرب سائل يسأل عن السر فى اختيار باريس لطبع النسخة النهائية « ستاندرد » وبدورنا نقول له : إن هناك معامل تخصصت فى إجراء بعض عمليات تكميلية فنية لا توجد فى مصر؛ ثم إن شركة فنار فيلم ترى أن تقدم فلمها بعد إصلاحه على صورة جديدة تغاير الأولى بعض الشيء ، فمن ذلك أنها اعتزمت أن تقدمه ملوناً بالألوان الطبيعية وفضلت لذلك لونين هما Sepia et Rose Caprise وأضافت إليهما فى ذات الوقت اللون الأزرق الهادى

وستعرض النسخة الفرنسية أولاً فى باريس والبندقية ثم تسافر إلى أمريكا ، وفى هذا الوقت يكون الموسم السينمى الجديد القادم قد حل فتعرض فى مصر والأقطار الشقيقة والبرازيل وغيرها

مجنون ليلى

الحقيقة التى يجب أن أعترف بها أن الشقيقين بدر وابراهيم لاما من أنشط الشباب الذى يعمل فى السينما وأسرعهم إنتاجاً ، ولكن ... نتيجة ذلك الحتمية هى ضعف الإنتاج وعدم الإقبال عليه لأسباب عديدة يرجع أهمها إلى عدم وجود الدراية الكافية والاعتماد على شخصيات هزيلة ترضى بالتافه من النقود و ... قلة توفر المال اللازم لمثل هذه المشروعات

والحديث عن السقوط الشنيع الذى لقيه فلم إخوان لاما الأخير « ليالى القاهرة » يطول ويتفرع ... أجل يتفرع من مآس كتلك التى تمخض عنها خيال الأخوين وأحد المخرفين من أتباعهما إذ زين لهما ضرورة إخراج قصة « مجنون ليلى » على الستار وهى لعمرى جريمة فنية مزدوجة فيها جناية على اللغة العربية التى لا يعرفها أحد الأخوين ، وجناية على الفكرة السامية التى أخذها الناس عن القصة ، وجناية على الشعر الذى وكل أمر نظمه إلى أحد الذين يؤلفون لصالات الدرجة الثالثة فى شارع عماد الدين

وقدم الشقيقان لاما « سيناريو » مجنون ليلى إلى قلم المراقبة بوزارة الداخلية فأحسنت صنعاً بعدم الموافقة عليه (لضعفه و « سخافته » ! ومنعاً لإساءة تنسب إلى الخالد الذكر المرحوم شوقى بك) وكان طبيعياً أن يثور ابراهيم لاما محاولاً فى لهجته الغريبة أن يقنع القائمين بالأمر بأنه جدير بالقيام بأعباء هذا العمل وأنه على استعداد لتغيير اسم القصة وجعله « قيس ليلى »

والعقبات التى ذكرت يمكن تذليلها ، ولكن الشيء الوحيد الذى يجب أن يذكره الجميع هو أن يطالبوا بإيقاف هذين الأخوين عند حدهما ونصحهما بأن ما لديهما من ملابس بدوية سابقة لا يكفى لنجاح قصة شعرية لها مكانتها فى العالم العربى، وأنهما إذ يحاولان إخراجها يسيئان إلى نفسيهما وإلى اللغة وإلى أفكار الناشئة

حور يس